

طليحة بن خويلد الأسدي

المتوفى سنة ٢١ هـ

تأليف

أحمد عادل كمال

مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

سلسلة أعلام الصحابة المحاربين (2)

بيانات فهرسة كتاب

طليحة بن خويلد الأسدي

تأليف

الأستاذ، أحمد عادل كمال

جـ1 القاهرة 1427هـ - 2006م

17× 24 سم

رقم الإيداع : 2005/23456

الترقيم الدولي : 7-04-5994-977

الطبعة الثانية

1427هـ - 2006م

الإخراج الفني: خليفة محمود خليفة

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: 23]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

الحمـــد لله رب العالمـــين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي العربي الكريم أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ما زالت حركة الفتوح الإسلامية بأهدافها الحقيقية وأحداثها المثيرة ونـــتائجها المثمـــرة تستأثر بجهود كثير من الباحثين في ميدان التاريخ الإسلامي خاصة في فترة الخلفاء الراشدين. وإذا كان معظم هذه الجهود قـــد انصب على نشاط قواد هذه الفتوح باعتبارهم الرموز الظاهرة التي اتجهت إليها الأنظار وبعدها الأقلام لتترجم هذه الحقيقة الواضحة. ولكن من يمعن النظر ويدقق البصر يرى أن ثمة شخصيات لعبت دورا بارزا فـــي هـــذه الفتوح ولكن الدراسات تتخطاهم لسبب أو لآخر مع أنهم في حقـــيقة الأمر لا يقلون شأناً عن هؤلاء القواد الأمر الذي يجعل دورهم الذي أسدوه في تلك الفتوح ميداناً رحباً للدراسة وفي ذات الوقت أرضاً بكـــرا لم تمتد إليها معول الباحث. وهذا ما تنبه إليه الأستاذ **أحمد عادل كمـــال** فدفعه في ولوج هذا الميدان، وساعده على ذلك ما اتصف به من الجـــرأة فـــي التصـــدي لمختلف الآراء ومناقشتها وتفنيدها مع التحلي بالصـــبر والمثابـــرة في تقصي الحقائق واستخلاصها وتنقيتها والمقدرة علـــى حســـن عرض المادة التاريخية وترتيبها وتنسيقها. بالإضافة إلى خبـــرته الكبيـــرة فـــي هـــذا المجال بداية من تأليفه "**سلسلة الفتوحات الإسلامية**" وصولاً إلى "**أطلس القاهرة**" و"**أطلس الفتوحات الإسلامية**"

لـــذلك فـــنحن نقـــدم للقارئ الكريم الجزء الثاني من سلسلة أعلام الصـــحابة المحاربـــين. والذي يتعرض بالحديث عن الصحابي الجليل

طلــيحة بــن خــويلد الــذي يعــد مثالاً للبطولة الفدائية والطاقة الحية والشــجاعة الفــذة التي لا يتسرب إليها الوجل أبداً. والكتاب في مجمله ينقسم إلى ثلاثة أبواب ينصرف الباب الأول منها متناولاً قبيلة بني أسد فــي جاهليــتهم وإسلامهم ثم يتجه إلى طليحة متتبعاً حياته قبل الإسلام وبعــده ولم يفدت المؤلف أن يتطرق إلى ردته التي أعقبها إسلام عميق وإيمان راسخ في القلب. بينما ينهض الباب الثاني ليعالج معركة القادسية متتــبعاً دور بنــي أسد في هذه المعركة مركزاً على الدور الفعال الذي لعــبه طليحة في تلك المعركة. ويأتي الباب الثالث ليتحدث عن معركة نهاوند وما حدث فيها من انتصار واستشهاد حيث سعى المؤلف لإيضاح الجهــود الــذي بذلها طليحة والتي خلدت اسمه على صفحات التاريخ وجعلــت إخلاصــه ورغبته في نصرة الحق سبباً يرقى به إلى مصاف الشهداء عند رب العالمين. ولا يسعنا اليوم سوى أن نبارك هذا الإنتاج العلمي الثمين داعين للمؤلف الكريم بالتوفيق في مواصلة طريق البحث. وأملــنا أن ينــتفع بهــذه الدراســة الباحث المتخصص والقارئ المسلم المثقف.

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل

أحمد جابر بدران
مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

مقدمـــــــة المؤلف

" والذي لا إله غيره ..

"**إن أحـــدكم لـــيعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيســـبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعلم أهل الجنة فيدخلها**"(1) .

يحضرنا هذا الحديث الشريف ونحن نقلب صفحات تاريخ هذا البطل الذي عـــادى الإسلام والمسلمين في مرحلة إقامة دولته. ثم أقبل على رسول الله ﷺ، مسلماً ثم عاد طليحة كافرا مرتدا يتزعم ردة بني أسد – إحدى الحركات الكبرى للـــردة – ويدعي النبوة، ويزعم وحيا يتنزل عليه يتكهن به على قومه ولو أنه مـــات أو قتل حينذاك لكان من أهل النار ولا يجد ريح الجنة بإجماع المسلمين، ولكـــن حـــركته باءت بالفشل والهزيمة أمام زحف خالد ابن الوليد، وهرب إلى الشـــام فكانـــت فرصـــة العمر أتيحت له ليراجع نفسه ويعود تائبا مسلما حسن الإسلام، وكانت له في ميادين الفتوح آيات مذهلة من البطولة يحق للمسلمين أن يفخروا وأن يقتدوا بها .

كـــان طلـــيحة مثالا للبطولة الفدائية والطاقة الحية والشجاعة الفذة التي لا يتسرب إليها الوجل أبدا، والتدريب العالي المتقدم، واللياقة البدنية التي تدعو إلى الإعجـــاب، والفكـــر العميق الرائق في الحرب والقتال. وبالرغم من ردته فقد صـــار بعـــدها نموذجا للإيمان الحق الذي لا تشوبه شائبة . ولا يعتد عليه فيه بشئ، حتى لكأنما كانت ردته شبحا رهيبا يؤرقه، يجهد بكل وسيلة أن يمحوه من صـــفحات حـــياته، فيقدم في كل يوم – لله لا للناس– دليلا على صدق إيمانه، متناســـيا أو متجاهلا ما فرضه الخليفة أبو بكر على كل من سبقت له ردة من حظر المساهمة في الفتوح، وما فرضه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عليهم من حظر تولى قيادات على أكثر من مائة .

---

(1) عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ والحديث متفق عليه

فما ظهر لذلك أدنى أثر على نفسية الرجل. فلئن كان في زعامته ردة بني أسد طالب، جاه وسلطان بلا ريب، فإن سيرته بعد ذلك في الفتوح تمحو كل شبهة وريب في أنه كان زاهدا عزوفا عن الدنيا مؤثرا ما عند الله على ما عند الناس، والآخرة خير وأبقى. والعبرة في أعمال العباد بخواتيمها، فمن أحسن الله خاتمته بصالح العمل فقد فاز، وأي فوز أكبر من أن يبدل الله سيئاتهم حسنات ؟

ما نحسب أحدا منا إلا وهو يشعر داخل نفسه وفي أعماقه بأنه تتنازعه نوازع الشر ودوافع الهدى. وعلى هذا فإن طليحة بن خويلد إنما يمثل نموذجا حيا منشورا على الناس لقضية من أهم وأكبر قضايا البشرية، هي قضية الإنسان المسرف على نفسه .. كذبا وبهتانا، وشرا وكفرانا إذا ما أفاق وفاءت نفسه فعاد صادقا تائبا إلى الله. إن في سيرة طليحة دعوة لكل فاسد مفسد، كاذب كذاب، ظالم ظلوم، أن يعود فطريق العودة دائما مفتوح ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر: 53]. إنه نداء لكل ساقط أن يقوم ويرتفع.

وهذا الكتاب ينبثق أساسا عن دراستنا لحركة الفتوح الإسلامية[1] لإمبراطورية الفرس، وكم في تلك الفتوح من نجوم مضيئة وشموس ساطعة وقدوات تقتفى آثارها. والله الموفق أن نقدم تلك النماذج الرائعة تباعا في هذه السلسة عن أعلام الصحابة المحاربين وصدق رسول الله ﷺ: "**أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم**".

والله نسأل أن يغفر لنا سيئاتنا وخطايانا وأن يحسن خاتمتنا .

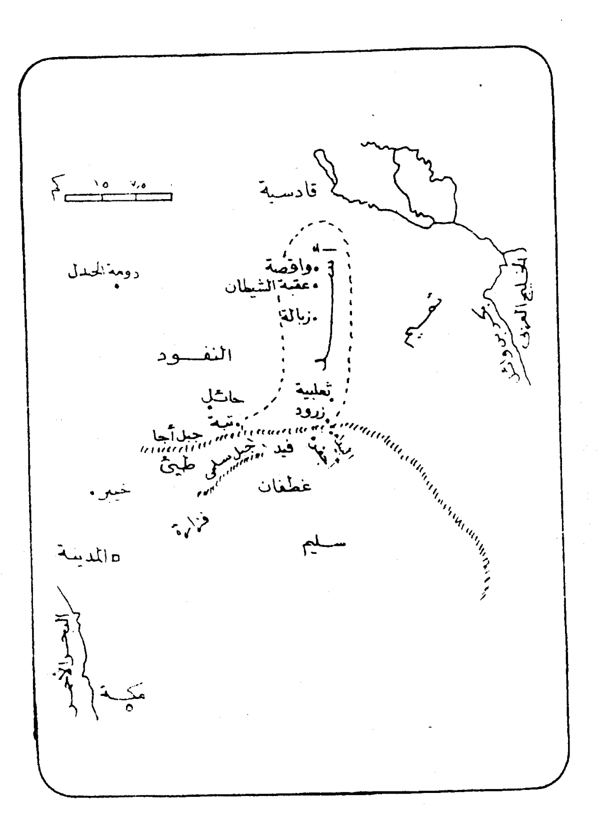
أحمد عادل كمال

([1]) تضمنتها تفصيلا من نواحيها الاستراتيجية والحربية كتبنا "الطريق إلى المدائن" و"القادسية" و"فتوح الشرق بعد القادسية" و"سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية"، و"الطريق إلى دمشق"، و"الفتح الإسلامي لمصر" .

الباب الأول

ردة وإســــــــلام

- بنو أسد .
- البعثة .
- غزوة الخندق .
- إسلام بني أسد .
- حركة الردة .
- المدينة في خطر .
- أبو بكر يخاطب القبائل .
- أوامر إلى خالد .
- طليحة في مواجهة خالد .
- فتوح العراق في عهد أبي بكر .


كم
قادسية
دومة الجندل
واقصة
عقبة الشيطان
زبالة
النفود
تميم
ثعلبية
زرود
حائل
جبل أجا
فيد
جبل سلمى طيئ
غطفان
خيبر
فزارة
سليم
المدينة
مكة

خريطة رقم (1)

بنو أسد

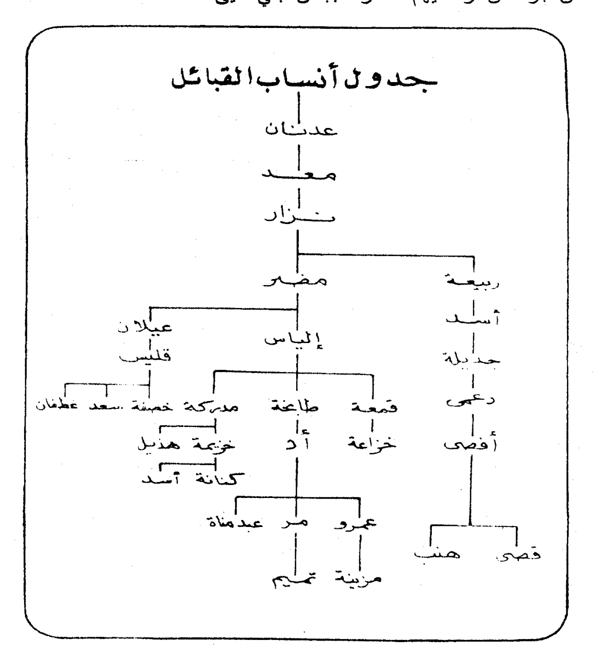
قبـــيلة طليحة بن خويلد هم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان. وهم قبيلة كبيرة ذات بطون كثيرة منها بنو كاهل وبـــنو غـــنم وبـــنو ثعلبة وبنو عمرو وبنو فقعس. وصاحبنا طليحة من بني فقعس. فهو طليحة[1] بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعـــس بـــن طـــريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن دودان بن أسد بن خـــزيمة. وكانت قبيلة أسد تسكن منطقة رحيبة من أرض نجد تكاد تخترق شـــبه الجزيرة من المدينة إلى الفرات في مجاورة بني طيىء من قبائل بني قحطـــان. وكانت منازلهم الأساسية تبدأ من جبال شمر وتمتد إلى ما وراءها فـــي اتجاه العراق . وقبيلة بني أسد بن خزيمة من القبائل الحربية فتاريخها زاخر بالحروب في الجاهلية والإسلام. ولم تكن كل حروبها انتصارات اللهم إلا بعد الإسلام، كما لم يكن بنو أسد أصحاب سلطان على ذلك الإقليم المتسع الذي سكنوه ولكنهم كانوا يعيشون جماعات متفرقة، فلم يكن لهم من النفوذ ما يتكافأ واتساع موطنهم الذي تجولوا فيه، ويبدوا أنهم انتشروا بأوسع مما كان يســـمح بـــه تعدادهم وإمكاناتهم، ولذلك لم تكن نظرة جيرانهم إليهم تتناسب وسعة رقعتهم.

وتنتسب كافة قبائل العرب إلى أحد شعبين كبيرين هما عدنان وقحطان. وقـــد تفرقت قبائل بني عدنان – التي تنتمي إليها بنو أسد في الحجاز ونجد والعـــروض فيما بين البحر الأحمر إلى الخليج العربي، في حين سكنت بنو قحطـــان اليمن والجنوب وأقاموا حضارتهم حول سد مأرب واعتمدوا عليه، فلمـــا تصـــدع الســـد وانهار أرغمت كثير من تلك القبائل على الجلاء عن مواطنها بحثا عن القوت والرزق في أماكن أخرى، فسار بعضهم شرقا حيث اســـتوطنوا الســـاحل الجنوبـــي لجزيرة العرب وسار غيرهم شمالا، فنزلت

---

(1) أسد الغابة 2639/ والإصابة 4290 .

الأوس والخزرج المدينة ونزلت قضاعة شماليها على طريق الشام ونزل بنو غسان بشرقي الأردن ونزل اللخميون الحيرة من العراق. واتجهت قبيلة طيئ إلى الجبلين أجأ وسلمى بشمال نجد وكانت هذه من ديار بني أسد فاشتبك المهاجرون من بني طيئ ببطون من بني أسد واستطاعوا أن يجلوهم عن جزء من أراضيهم فصار الجبلان لبني طيئ .



من ايامهم في الجاهليه

وكان للأمير الكندي الحارث بن عمرو سلطان واسع قسمه على أولاده. فجعل ولده حجرا ملكا على بني أسد! ونازع بنو أسد ملكهم حجرا وولده الشاعر المشهور امرؤ القيس وانتهزوا فرصة تغيب حجر في تهامة وانقضوا

علـيه فأسـرع إلـيهم وأعمل السيف فيهم حتى أخضعهم وضرب بعضهم بالعصى حتى مات فأطلقوا على بني أسد "عبيد العصا"، ونفاهم إلى تهامة ثم عفا عنهم فعادوا إلى ديارهم ولكنهم ثاروا من جديد وقتلوا حجرا وقد استطاع ابنه امرؤ القيس أن ينتقم لأبيه ولكنه لم ينجح في إخضاعهم لسلطانه.

وكانت بين بني سليم وبني غطفان حروب وثارات، وفازت سليم بقيادة صـخر بن عمرو بن شريد على بني غطفان وكانت بنو أسد تساند غطفان، وأراد صـخر أن ينتقم من بني أسد حلفاء غطفان فجمع جموعه وسار إليهم فقـاتلهم فـي يوم يعرف بيوم الأثل ويوم الكلاب وأصاب في بني أسد غنائم وسـبيا، وأصابت صخرا يومئذ طعنة طعنه إياها فارس مشهور من بني أسد اسمه ربيعة بن ثور وكان يكني أبا ثور وقد مات صخر فيما بعد متأثرا بهذه الجراحة واشتهر برثاء أخته الخنساء له. هذه الكنية "أبو ثور" عرف بها بعد ذلك صاحبنا طليحة بن خويلد تشبيها له بفارس بني أسد الذي قتل صخرا أخا الخنساء.

وفي الإسلام

بعد ذلك نجد قبيلة أسد ضمن الأحزاب التي استطاع اليهود أن يحزبوها مـع قريش وغطفان لتغزو المدينة في غزوة الخندق وكانت القبيلة في ذلك التحزب بقيادة طليحة بن خويلد في عام (4 أو 5) من الهجرة على خلاف ثم كـان مـنهم عدد في جيش المسلمين لفتح مكة يبدو أنه لم يكن كبيرا ثم جاء وفـدهم فـي العام التاسع إلى الرسول ﷺ ليعلن إسلامهم ولكن الردة عمت القبيلة عام (11هـ) في حين ثبت بعض أبنائها على إسلامهم بصلابة مؤمنة.

وأخيـرا كانت بنوا أسد من أهم وحدات جيوش المسلمين لفتوح الشرق العراق وفارس .

البعثة

بعث رسول الله ﷺ برسالة الإسلام قبل الهجرة بثلاثة عشر عاما قضاها الرسول في مكة يدعو قريشا التي ناصبته العداء وأعرضت عن قبول الدعوة

وتآمرت على قتله حتى ألجأته إلى الهجرة إلى المدينة مع من آمن من قومه المهاجرين من قريش وانضموا إلى المؤمنين من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج وبدءوا بناء دولتهم -وفيما عدا من آمن من قريش ومن الأنصار- لم تقبل القبائل الأخرى على الإسلام. وبعد الهجرة ظهر الإسلام وئيدا في بعض القبائل حول المدينة، ولكن أسداً كانت أبعد منازل فلم تكن من أوائل القبائل إقبالا على الإسلام.

سرية أبي سلمة

ولم تكن بنوا أسد من القبائل التي تأخر إسلامها فحسب بل كانت أيضا ممن كانت لها مواقف مضادة من الرسالة ودولتها الناشئة. ذلك أن غزوة أحد كانت في شهرة شوال بعد بدر بسنة على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة في العام الثالث، ومُنَى المسلمون فيها بهزيمة منكرة أطمعت فيهم أعداءهم الذين كانوا مازالوا يرهبونهم منذ غزوة بدر. فقدم المدينة[1] رجل من طيىء -جيران بني أسد- يدعى الوليد بني زهير بن طريف وأخبر المسلمين أن طليحة بن خويلد وأخاه سلمة سارا في قومهما ومن أطاعهما لحشد جمع هدفه الهجوم على المدينة وحرب رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ أبا سلمة[2] بن عبد الأسد المخزومي واستعمله على مائة وخمسين رجلا

([1]) إمتاع الأسماع 170

([2]) أبو سلمة اسمه عبد الله وهو بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وكانت امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وكانت أمه برة بنت عبد المطلب فكان ابن عمة رسول الله ﷺ وأخاه في الرضاعة، فقد كانت ثويبة أول من أرضعت النبي أياما بلبن ابن لها يقال له مشروح، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب ثم أرضعت بعده أبا سلمة وذلك قبل أن تقدم حليمة السعدية.

وكان أبو سلمة من السابقين إلى الإسلام، أسلم بعد عشرة أنفس وكان ممن هاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة في رجب من العام الخامس من البعثة وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نساء وكانت معه زوجته أم سلمة، اتجهوا إلى الشعيبة منهم الراكب ومنهم الماشي ووفق الله للمسلمين ساعة جاءوا إلى البحر سفينتين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة لقاء نصف دينار. وخرجت قريش في

من أبطال الصحابة فيهم سعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وأمره بالسير إلى قطن وهو جبل بناحية فيد بنجد به ماء لبنى أسد وذلك لهــلال محــرم أو صفر(4هـ) بعد مضي خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة وأمره بالإغارة على بني أسد قبل أن تجتمع جموعهم حتى يكون في إرهابهم رادع لهــم عــن الاحتشــاد والزحف فهي عملية من نوع الهجوم الدفاعي. وخرج الوليد بن زهير مع السرية دليلا لها، وكانت السرية تعتمد في مهمتها على عنصر المفاجأة فلم يسلكوا الطريق بل تنكبوه حتى لا يراهم أحد فيعرف وجهــتهم، وساروا ليلا ونهارا حتى بلغوا قطنا بعد أربعة أيام فوجدوا سرحا وثلاثة من الرعاة من عبيد بني أسد فاستولوا على ذلك وأخذوهم، وانتبه القوم للسرية فتفرقوا في كل وجه هربا. وورد أبو سلمة الماء وقد فروا عنه فبعث رجالــه فــي طلب النعم والشاء فأصابوا منها وكانت المفاجأة تامة بحيث لم يعترضـــهم أحد، فعادوا إلى المدينة بالغنائم. ونجحت السرية في هدفها فحبط مشروع طليحة لمهاجمة المدينة ولم يتحرك معه أحد.

آثــارهم حتـــى جاءوا إلى البحر حيث ركبوا فلم يدركوهم، ثم عاد من الحبشة إلى رسول الله ﷺ بمكة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار كان أول من هاجر من مكة إلى المدينة. وفـــي العام الثاني للهجرة كانت غزوة ذات العشيرة فخرج رسول الله ﷺ في المهاجرين يعترض عيـــر قـــريش إلى الشام حتى بلغ ينبع واستخلف أبا سلمة على المدينة حتى عاد. شهد بدرا وكان فارس القوم وأصابته جراحه يوم أحد يقال هي التي انتقضت بعد سريته إلى بني أسد فتوفى منها ســـنة أربع في جمادى الآخرة فلما مات كبر النبي عليه تسع تكبيرات في صلاة الجنازة، فقيل يا رســـول الله أســـهوت أم نسيت ؟ قال: لم أسه ولم أنس، ولو كبرت على أبي سلمة ألفا كان أهلا لـــذلك. وتـــزوج رسول الله ﷺ أم سلمة وزوج حمزة بن عبد المطلب. وكان له من الأبناء سلمة وزينب وذرّة. ومن حديث ابن عباس" يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد، وأول من يعطى كتابه بشماله أخوه سفيان ابن عبد الأسد .

(الطبري 158/2 و 329– 330 و 369 و408 – 164/3 – الإصابة 4783 و 559 كني)

غزوة الخندق

ثم أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير عن المدينة فحقدوا لذلك وخرج نفر منهم هم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع وغيرهم فطافوا على أحياء العرب يؤلبونهم ويحزبونهم على المسلمين ويسعون بينهم في حلف هدفه غزو المدينة لقطع دابر المسلمين وبذلوا لهم الوعود أنهم سيكونون معهم حتى يستأصلوا النبي ﷺ ومن معه. واستطاع هذا الوفد اليهودي أن يجمع عشرة آلاف مقاتل من شتى قبائل العرب بيانها[1] كالآتي:

4000 من قريش والأحابيش يقودهم أبو سفيان بن حرب .
3500 من أسد يقودهم طليحة بن خويلد .
1000 من فزارة (من غطفان) يقودهم عيينة بن حصن .
700 من سليم يقودهم سفيان بن عبد شمس.
400 من أشجع يقودهم مسعود بن رخيلة .
400 من مرة يقودهم الحارث بن عوف
10000

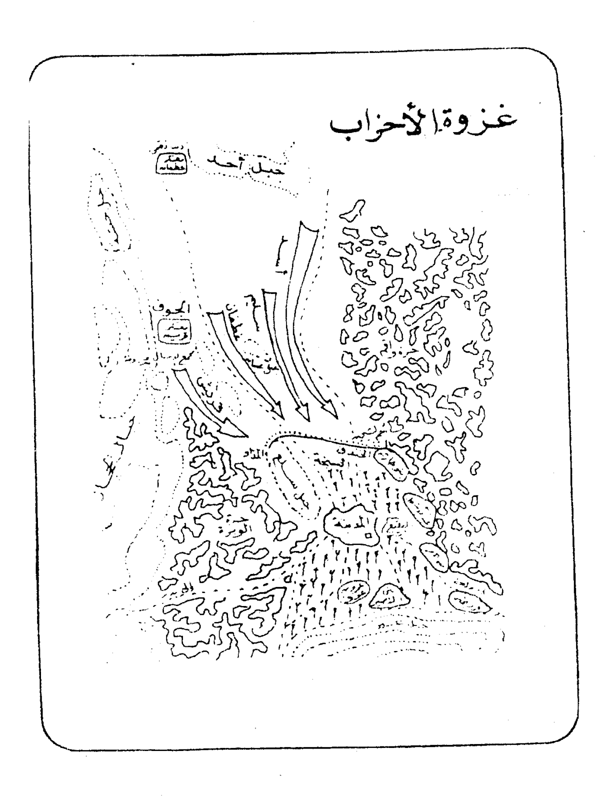
ولم تكن قوات المسلمين حينذاك سوى ثلاثة آلاف كان عليهم أن يواجهوا تلك الآلاف العشرة بالإضافة إلى المعونة اليهودية الموعودة وكان منها بحصون بني قريظة جنوبي المدينة ثمانمائة رجل. فتزلزلت لذلك أقدام المسلمين، ووصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ ﴾[الأحزاب 10-11]

---

(1) إمتاع الأسماع 218 . وقد ذكرنا تفاصيل الأرقام فيما عدا بني أسد كما ذكر وأجمعت المصادر أن مجموعها كان عشرة آلاف فاستخرجنا عدة بني أسد بالمتمم الحسابي ولم تذكر رواية ابن اسحق قدوم بني أسد مع الأحزاب.
عيون الأثر 56/2، المغازي 465 .

واقترح سلمان الفارسي فكرة دفاعية كانت مألوفة لدى الفرس وهي حفر الخندق في الجانب المكشوف من المدينة فوافق النبي ﷺ واجتهد والمسلمون معـــه في حفره حتى أتموه في ستة أيام. جاءت الأحزاب ففوجئت بالخندق، ونـــزلت قريش بمجمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة وأقبلت غطفان وأهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد ونقضت بنوا قريظة حلفهم مع المسلمين وظهر النفاق على بعض من في صفوف المسلمين، واشتد البلاء علـــيهم قريبا من شهر والأحزاب تحاصرهم من وراء الخندق ولم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبال عبره ومحاولات محدودة من بعض فرسانهم لاقتحامه أحـــبطها المسلمون. وأخيرا قذف الله الإسلام في قلب نعيم بن مسعود فأخفى إيمانه وقام بذلك العمل المشهور في السيرة بالوقيعة بين الأحزاب وبين بني قريظة حتى يئس كل طرف من الآخر. كان الفصل شتاء واشتد البرد وهبت الـــريح فكفـــأت قدور الأحزاب وقلعت خيامهم وأخبيتهم فتفرقت كلمتهم وقام طليحة يقول: "إن محمدا قد بدأكم بشر، فالنجاء النجاء". وقام أبو سفيان يؤيد الانصراف فانصرف كل بقومه ورجعت كل قبيلة إلى موطنها.

هـــذه عجالة جد مختصرة عن غزوة الأحزاب يهمنا أن نشير فيها إلى مفارقات عجيبة وطريفة، فمن وراء الخندق جاءت هذه الحشود تضم طليحة بن خويلد وخالد بن الوليد وعيينة بن حصن الفزاري وكثيرا غيرهم، نجد من هـــذه الأسماء خالد بن الوليد وقد قاتل طليحة في حروب الردة في حين كان عيينـــه يناصره فيها. وأمام الخندق من جانبه الآخر كان سعد بن أبي وقاص وقد حارب طليحة تحت لوائه في القادسية وما بعدها، وكان النعمان بن مقرن المزني وقد حارب طليحة تحت لوائه في نهاوند واستشهد معه بها.!!



خريطة رقم (2)

إسلام بني أسد

وتسير الأمور على ما هو مشهور في السيرة حتى إذا كان العام التاسع وجاءت وفود القبائل إلى رسول الله ﷺ تعلن إسلامها جاء[1] وفد بني أسد فيهم حضرمي بن عامر وضرار بن الأزور ووابصة بن معبد وقتادة بن الطائف وسلمة بن حبيش وطليحة بن خويلد ونقادة بن عبد الله بن خلف، فقال حضرمي بن عامر: "يا رسول الله، جئناك نشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله. أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث إلينا، ونحن لمن وراءنا. فأنزل الله قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: 17]

حركة الردة

بفتح مكة تم للمسلمين النصر النهائي في الحرب التي كانت بينهم وبين قريش، وكان لذلك أثره على سائر قبائل العرب، فجاءت وفودها إلى المدينة تعلن إسلامها، ونظر ذوو الطموح والمطامع ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم إلى هذا الإسلام، على أنه منهج جديد مبتكر، للوصول إلى السلطة وبسط النفوذ، في بيئة لم يبسط إنسان نفوذه عليها من قبل. وفكر الأسود العنسي في اليمن بهذا المنطق. لماذا لا يدعي النبوة ويكون له ملك مثل ملك محمد بدلا من الخضوع له؟ وذهب نفس المذهب مسيلمة بن حبيب الكذاب في اليمامة. وأعلن كل منهما نبوته في حياة رسول الله ﷺ فكان ذلك مدعاة ومشجعا لطليحة بن خويلد، أن يفعل نفس الشيء، وبلغ انتشار هذه "البدعة" أن ادعت امرأة من بني تميم تدعى سجاح كانت تعيش في بني تغلب بالجزيرة أنها نبية يوحي إليها!! فما أن انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، حتى تفاقم أمر

(1) إمتاع الأسماع 495 – الطبري 96/3 – أسد الغابة 2639 – الإصابة 4290 تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام 129/3

هؤلاء واتسعت حركة الردة حتى بين القبائل، التي لم يزعم قادتها أنهم أنبياء فاكتفى بعضهم برفض أداء الزكاة.

ردة بني أسد

وكان أول من كتب إلى النبي ﷺ بخبر طليحة، هو سنان ابن أبي سنان وكان على بني مالك، وكان قضاعي بن عمرو على بني الحارث، وبعث طليحة أخاه حبال إلى النبي ﷺ يدعوه إلى موادعته ويخبره بخبره وبأنه صار نبيا مثله. وقال حبال للنبي: إن الذي يأتيه ذو النون، فقال له النبي: "**لقد سمى ملكا**". وقال حبال: "أنا ابن خويلد" فقال له النبي: "**قتلك الله وحرمك الشهادة**".

وقد وجه رسول الله ﷺ بعض رجاله إلى مدعي النبوة، فبعث ضرار بن الأزور الأسدي[1] إلى عماله على بني أسد في شأن طليحة وأمرهم بالقيام في ذلك على كل من ارتد فأوقعوا طليحة في هم وخوف واشتدوا عليه. ونزل المسلمون في واردات ونزل طليحة بالمرتدين في سميراء، فما زال المسلمون في زيادة ونماء وحزب طليحة في نقصان، حتى هم ضرار بن الأزور بالسير إلى طليحة فلم يبق أحد إلا أخذه سلما. فما التقى بطليحة ضربه ضربة بسيفه فتلافاها طليحة ونبأ عنها، وقد كان طليحة مقاتلا ممتازا عالي التدريب، فشاع في بني أسد أن السلاح لا يؤثر فيه فكانت علامة جديدة له من علامات نبوته ومعجزاته! وهم على ذلك جاءت الأخبار بوفاة رسول الله ﷺ، فما أمسوا من ذلك اليوم حتى انفض الناس عن ضرار إلى طليحة ونقصت قوات المسلمين هناك.

وقام عيينة بن حصن في غطفان فقال: "إني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة. والله لأن نتبع نبيا من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبيا من قريش، وقد مات محمد وبقى طليحة! فأطاعه قومه وتابعوه على ذلك. هنا صار مركز المسلمين في بني أسد دقيقا وحرجا للغاية وصار

---

(1) الطبري 257/3 عن عبد الله بن سعد عن عمه عن سيف عن طلحة بن الأعلم عن حبيب بن ربيعة الأسدي عن عمارة بن فلان الأسدي .

ضـــرار فـــي القلـــة المؤمنة التي معه عرضة للتطويق والحصار بين أسد وغطفـــان، فهرب ضرار وقضاعي وسنان وكل من كان قام بشيء من أمر النبـــي ﷺ في بني أسد، وعادوا إلى أبي بكر فأخبروه بالخبر وأمروه بالحذر يقول ضرار: "فما رأيت أحدا ليس رسول الله ﷺ أملأ بحرب شعواء من أبي بكر. فجعلنا نخبره ولكأنما نخبره بما له ولا عليه"

المدينة في خطر

وكان رسول الله ﷺ قد أمر ببعث أسامة بن زيد إلى تخوم الشام، وتجهز الجيش للمسير، وتوفى رسول الله ﷺ، وهو معسكر خارج المدينة، فأنفذ أبو بكر أمر الرسول وسير ذلك الجيش إلى مقصده في آخر ربيع الأول(11هـ) فـــي حـــين كانت وفود المرتدين تصل إلى المدينة، تعلن ردتها وتحاول أن تســـاوم أبـــا بكر ليقبل منها. وفت هذا في قلوب المسلمين. ولكن أبا بكر ﷺ كـــان حيث وصفه عبد الله بن مسعود ﷺ بقوله: "لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقامـــا كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بأبي بكر، أجمعنا على ألا نقاتل علـــي ابنة مخاض وابنة لبون، وأننا نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقـــين، فعـــزم الله لأبي كبر على قتالهم، فوالله ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية، فأما الخطة المخزية، فأن يقروا بأن من قتل منهم في النار، ومن قتل منا في الجنة، وأن يدوا قتلانا، ونغنم ما أخذنا منهم، وأن ما أخذوا منا مردود علينا، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم[1].

أراد أبـــو بكـــر أن ينتظر عودة جيش أسامة ولكن قبائل عبس وذبيان القاطنة بشمال المدينة عاجلته وبدأت تحتشد تريد غزو المدينة ورأى أبو بكر أن الهجـــوم خيـــر وسيلة للدفاع فجمع من استطاع جمعه من مسلمي المدينة وكانـــوا قلة، وخرج إليهم فسار الليل حتى فاجأ حشودهم في آخر الليل وهم نـــيام فأعمل فيهم السيف ومن أفلت منهم ولى الأدبار. وازداد حنق المرتدين

---

(1) الطريق إلى المدائن

فقاموا في عبس وذبيان، على من ثبت على إسلامه فيهم يقتلونهم بكل وسيلة، وانتشرت العدوى في سائر قبائل الردة ففعلوا بالمسلمين مثل ذلك. وأقسم أبو بكر ليقتلن في كل قبيلة بمن قتل من المسلمين قصاصا وانضمت فول عبس وذبـيان إلى طليحة بن خويلد، الذي كان يجمع جموعه في بزاخة[1] من مياه بني أسد، فاستفحلت جموعه واشتدت شوكته.

وسأل أبو بكر[2] أصحابه "بمن نبدأ من أهل الردة؟ فاختلفوا عليه، فقال أبو بكر: نصمد لهذا الكذاب على الله وعلى كتابه، طليحة".

جيوش قمع الردة

ورجـع أبـو بكـر إلى المدينة، ومع رجوعه جاءته زكاة الثابتين على إسـلامهم من القبائل وكان أبرزهم عدي بن حاتم الطائي جاء بزكاة مسلمي بني طيئ على جيران بني أسد وحلفائهم، فانتعشت بذلك نفوس المسلمين. ثم عـاد جيش أسامة بعد غيابه عن المدينة أربعين أو سبعين ليلة –على خلاف فـي الـروايات– هـذا الجيش كان هو القوة الضاربة للمسلمين والذي كان خـروجه دافعـاً لعـبس وذبيان على الاحتشاد لغزو المدينة فأبقاهم أبو بكر بالمديـنة، حتى أراحوا ظهورهم ثم عقد أحد عشر لواء بعث بها إلى مواطن الردة في شبه الجزيرة فكانت كالآتي[3]:

1- الجيش الأول بقيادة خالد بن الوليد.

ووجهته إلى ضاحية مضر[4] في نجد حيث يكون هدفه الأول طليحة ابن خـويلد فـي بني أسد ومن انضم إليه من بني عبس وذبيان، وأيضا من بني طيـئ بحكـم الحلف الذي كان بينهم فإذا فرغ خالد من طليحة كان عليه أن يواصل سيره إلى البطاح، حيث مالك بن نويرة في بني تميم .

---

(1) يذكر بعضهم أن بزاخة من مياه بني طيئ في جيرة بني أسد .

(2) حروب الردة من الاكتفا في مغازي المصطفى 30 .

(3) الطريق إلى المدائن .

(4) المعرفة والتاريخ 290/3 .

2- الجيش الثاني بقيادة عكرمة بن أبي جهل

وكانت وجهته اليمامة حيث مسيلمة بن حبيب الكذاب في بني حنيفة.

3- الجيش الثالث بقيادة شرحبيل بن حسنة .

وكانت وجهته اليمامة أيضا ولنفس هدف عكرمة.

4- الجيش الرابع بقيادة طريفة بن حاجز .

وكانت وجهته إلى منازل بني سليم ومن معهم من مرتدي هوازن .

5- الجيش الخامس بقيادة عمرو بن العاص .

وكانت وجهته شمالا إلى قبائل قضاعة ووديعة والحارث .

6- الجيش السادس بقيادة خالد بن سعيد.

وكانت وجهته إلى مشارف الشارم .

7- الجيش السابع بقيادة العلاء بن الحضرمي .

وكانت وجهته إلى البحرين حيث الحطم بن ضبيعة في مرتدي عبد القيس وقبائل ربيعة .

8- الجيش الثامن بقيادة حذيفة بن محصن الغلفاني .

وكانت وجهته إلى دبا بعمان .

9- الجيش التاسع بقيادة عرفجة بن هرثمة .

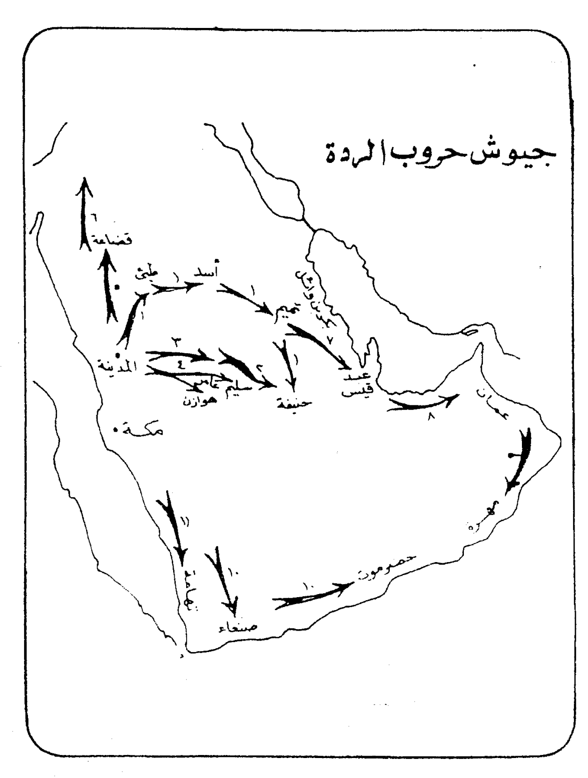
وكانت وجهته إلى أهل مهرة بالجنوب الشرقي من جزيرة العرب .

10- الجيش العاشر بقيادة المهاجر بن أبي أميه .

وكانت وجهته إلى صنعاء باليمن حيث الأسود العنسي ثم إلى حضرموت .

11 -الجيش الحادي عشر بقيادة سويد بن مقرن .

وكانت وجهته إلى تهامة اليمن .


جيوش حروب الردة
قضاعة
طيئ
أسد
تميم
المدينة
سليم
عامر
هوازن
حنيفة
عبد قيس
عمان
مكة
حضرموت
صنعاء

خريطة رقم (3)

أبو بكر يخاطب القبائل(1)

وكتب أبو بكر منشورا منه نسخا إلى قبائل العرب وأرسل إلى بني أسد واحدا منها هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

مـن أبـي بكـر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى.

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، نقر بما جاء به ونكفر من أبي ونجاهده

أما بعد، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرهاً ثم توفى رسول الله ﷺ وقد نفذ الأمر لله ونصح لأمته وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ﴾ [الزمر 30]، وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝ ﴾[الأنبياء: 34]، وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ ﴾[آل عمران: 144]

(1) الطبرى 2263 السري عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك .

فمـــن كـــان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شـــريك لــــه فإن الله له بالمرصاد حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه يجزيه.

وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه مخذول، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا قال الله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: 17]. ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقر به ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، واغترارا بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: 50]. وقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر: 6] .

وإني قد بعثت إليكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتل، وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام. فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله. وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الأذان. فإن أذن المسلمون

فأذنوا كفوا عنهم وإن لم يؤذنوا عاجلوهم. وإن أذنوا سألوهم ما عليهم. فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم.

أوامر إلى خالد

حمل رسول أبي بكر هذا الكتاب إلى بني أسد، وخرجت معه في نفس الوقت رسل أخرى إلى سائر القبائل تحمل إليها كتبا مماثلة، وفي أعقاب هذه الرسل خرجت جيوش أبي بكر تحمل تعليمات بما عليها أن تقوم به، وكانت كلها أيضا متشابهه، وكان أهم تلك الجيوش جيش خالد بن الوليد، وكانت وجهته طليحة بن خويلد وبني أسد الذين معه. وكانت أوامر أبي بكر إليه مكتوبة وهذا نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته. وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم. لا ينظرهم (يؤجلهم) ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم.

فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف. وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله . فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به. ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه. ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه. وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد. وألا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيونا (جواسيس) ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم. وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل

ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول" .

طليحة في مواجهة خالد:

ذكرنا أن أبا بكر أخرج أحد عشر جيشا إلى أرجاء شبه الجزيرة لقمع حركة الردة ولا يعنينا في موضوعنا هذا سوى قطاع نجد الذي وجه إليه أبو بكر جيشه الأول بقيادة خالد.

اجتمع جيش خالد في ذي القصة على طريق نجد خارج المدينة على نحو بريد منها (حوالي 22 كيلوا مترا) وقد بلغ أربعة آلاف مقاتل[1] كان من بينهم ما بين أربعمائة إلى خمسمائة من الأنصار، وكان أميرهم ثابت بن قيس ويحمل رايتهم أبو لبابة، وكان فيهم أيضا قليل من المهاجرين، ثم كان أكثر الجيش من القبائل التي حول المدينة مثل أسلم ومزينة، كما كان بعضهم من بني كنانة ابن خزيمة إخوة بني أسد بن خزيمة. ونلاحظ في حروب الردة أن أبا بكر كان يحاول ما أمكن أن يوجه إلى كل قوم من كان منهم، فإن لم يكن فالأقرب إليهم حتى لا تأخذ حروب الردة شكل حروب عصبية مما اعتادته العرب قبل الإسلام .

تقدير موقف:

حينذاك كان طليحة في بزاخة يجمع جموعه وينظم صفوفه. كانت فلول عبس[2] وذبيان الذين هزمهم أبو بكر شمالي المدينة قد انضمت إليه. وفي الواقع أن زعامة طليحة للردة تجاوزت قومه من بني أسد فشملت معهم غطفان وطيىء فكانت جموع لبني أسد في سميراء وكانت لبني فزارة من غطفان جموع بجنوب طيبة وكانت حشود طيئ على حدود أرضهم،

([1]) الطريق إلى المدائن . وفي تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام 21/3 ذكر عن الزهري أن خالد سار من ذي القصة وفي ألفين وسبعمائة إلى ثلاثة آلاف بريد طلحة .

([2]) الطبري 253/3 عن عبيد الله بن سعد عن سيف عن سهيل بن يوسف عن القاسم بن محمد وبدر بن الخليل وهشام بن عروة.

واجـــتمعت ثعلـــبة بن سعد وغيرهم من مرة وعبس بالأبرق من الربذة، كما انضـــم إلـــيهم مرتدوا بني كنانة، وازداد عددهم فلم تحتملهم البلاد، فافترقوا فـــرقتين، أقامت إحداهما بالأبرق، وكانت من مرة عليهم عوف بن فلان بن ســـنان، ومـــن ثعلبة بن سعد وعبس عليهم الحارث بن فلان أحد بني سبع. وسارت الفرقة الثانية حتى نزلت ذي القصة، وكانت من بني أسد ومن انضم إليهم من بني ليث والديل ومدلج وقد بعث إليهم طليحة بأخيه حبال بن خويلد أميرا عليهم .

وبعـــثوا وفـــودا إلى أبي بكر بالمدينه فرأوا قلة أهلها بعد خروج جيش أســـامة فكانـــوا يســـاومونه على أني يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة وكانوا يحسون أنهم في مركز قوة بحشودهم الكبيرة، التي تجتمع قيادتها عند طليحة، وبِخُلُـــوّ المدينة من جيشها الكبير الذي خرج نحو الشام. وكان بين بني أسد وبنـــي طيـــيء حلف، واستنادا إلى هذا الحلف أرسل طليحة إلى بني جديلة وبني الغوث، وهما بطنان من بني طييء لينضموا إليه فأسرع إليه أقوام منهم وأمـــروا قومهم باللحاق بهم. وبلغت هذه الأنباء أبا بكر بالمدينة – بما يدلنا على يقظة أبي بكر لاستقصاء الأخبار من أنحاء شبه الجزيرة.

طييء تعود إلى الإسلام

وكـــان عـــدي بن حاتم زعيم طييء مازال بالمدينة منذ جاء إليها بزكاة مســـلمي طيـــيء فبعثه أبو بكر إلى قومه ليثنيهم عن ردتهم ويصرفهم عن مناصـــرة طلـــيحة، ووفـــق عـــدي فيما ذهب إليه واتفق مع بني الغوث أن يســـترجعوا فرســـانهم الذين انحازوا إلى طليحة. ورجع عدي مسرعا حتى أدرك خالـــدا بالسنح من ضواحي المدينة فقال له: "يا خالد، امسك عني ثلاثا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك، وذلك خير من أن تعجلهم إلى النار وتشاغل بهم" .

واستجاب خالد لعرض عدي فقد كان يمثل قمة النجاح في خطة أبي بكر تجاه بني طيئ وتركه عدي وعاد مسرعا إلى بني الغوث فوجدهم قد أرسلوا

إلى إخوانهم الذين لحقوا بطليحة فرجعوا إليهم خمسمائة فارس من الغوث من بـزاخة، كـأنهم مدد لهم ولولا ذلك ما كان طليحة قد تركهم يعودون. وأمن عدي جانبهم واطمأن إلى عودتهم إلى الإسلام فرجع بذلك إلى خالد.

ثـم ارتحـل إلى الأنسر وهي قبل الرمل (رمال النفود) وكانت منازل جديلـة وهو يقول لعدي: "يا أبا طريف ألا نسير إلى جديلة؟ قال عدي: يا أبا سليمان لا تفعل. أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة؟. قال: بيدين. قال: فـإن جديلـة إحـدى يدي. إن طيئا كالطائر، وإن جديلة أحد جناحي طيىء فأجلني أياماً لعل الله أن ينتقذ جديلة كما انتقذ الغوث".

ومـرة أخـرى قبل خالد طلب عدي. وأتاهم عدي فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا. فحمد الله وسار بهم إلى خالد. وبذلك صارت عدة جيش خالد خمسة آلاف وصارت خيل طيىء تلقى خيل بني أسد وفزارة قبل قدوم[1] خالد عليهم فيتشـاتمون ويتجادلون ولا يقتتلون، فتقول أسد وفزارة: "لا والله لا نبايع أبا الفصيل أبدا" فيقول لهم بنو طيىء كما قال لهم عدي بن حاتم: "تشهد ليقاتلنكم حتى تكنوه أبا الفحل الأكبر".

السير إلى طليحة

لقـد كـان لخالد قدرة على جمع المقاتلين وحشد قواته ومع سيره نحو طليحة، كتب إلى معن بن حاجز عامل أبي بكر على بني سليم أن يسير إليه بمـن ثـبت معه على الإسلام من بني سليم[2]. فسار إليه وقد استخلف على عمله أخاه طريفة بن حاجز، قائد الجيش الرابع. كانت المعركة المرتقبة تشد انتـباه نجد كلها واهتماماتها. وكان في جيش خالد الثابتون على إسلامهم من أبناء القبائل التي يسيرون إليها. فكان ضرار بن الأزور من فرسان بني أسد المشهورين ومن صحابة رسول الله ﷺ وكان من زملاء وأصدقاء خالد الذين زاملـوه ولازموه في فتوحه، ومن القادة الذين اعتمد عليهم خالد في حروب

(1) الطبري 2553 عن هشام عن أبي مخنف عن عبد السلام بن سويد .

(2) الطريق إلى المدائن .

الـــردة، وفتوح العراق والشام، وكانت له مكانته عند قبيلته. وكان أخوه عبد الرحمن بن الأزور ثابتا على إسلامه مقيما بين قومه حيث تفشت الردة فكتب إلى ضرار قصيدته التي مطلعها.

قـد قلـت للمـرء الشقيق ضرار طـال الـبكاء لفـرقة الأنصـار

وكـذلك أرسـل مهلهل[1] بن زيد الخيل الطائي يقول لضرار: "في حال محاربة طليحة إن دهمكم طليحة فأعلمني فإن معي حد العرب (قوتهم) ونحن بالإكـثار (مكان) بحبال فيد". وهذا انتقاض آخر من بني طيىء على حلفهم الجاهلي مع بني أسد الذي يحاول طليحة استغلاله في ردته ضد المسلمين.

وانحـاز أهـل الغمـر (مكان على طريق بزاخة) إلى بزاخة فقام فيهم طلـيحة بمـا كان يزعم أنه وحي يقول: "أمرت أن تصنعوا رحا ذات عرا، يرمـي الله بهـا من رمى، يهوى عليها من هوى" ثم عبأ جنوده، وخرج هو وأخوه سلمة طليعة استكشافية ليرتادا الطريق .

استطلاع من الطرفين

كـان عيينة بن حصن قد قال لطليحة "لا أب لك، هل أنت مرينا بعض نبوتك، فقد رأيت ورأينا ما كان يأتي محمدا؟ قال: نعم". فبعث عيونا له حيث سار خالد بن الوليد من المدينة مقبلا إليهم قبل أن يسمع بذكر خالد، وقال: إن بعثتم فارسين على فرسين أغَرَّين محجلين من بني نصر بن قعين أتوكم من القـوم بعين. فهيئوا فارسين فبعثوهما فخرجا يركضان، فلقيا عينا لخالد بن الولـيد، فقـالا: ما وراءك؟ فقال: هذا خالد بن الوليد في المسلمين قد أقبلوا فأتوا به إليه، فزادهم فتنة وقال: ألم أقل لكم؟!" .

وسـار خالـد نحو مواطن بني أسد حتى إذا اقترب منها بعث[2] أمامه طلـيعة استكشـافية من عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم حليف الأنصار،

---

(1) الإصابة 4172 – 6368 – 8473 الاستيعاب 2032 .

(2) الطبري 260/3 س ش س عن أبي يعقوب سعيد بن عبيد .

وأحـــد بني العجلان حتى اقتربا من القوم. وكما نلمح هنا، وسوف نرى في القادسية في فتوح العراق وأيضا في نهاوند، في فتوح فارس أن طليحة كان ممـــتازا مـــوفقا دائما في أعمال الاستكشاف. والتقت الطليعتان فالتحمتا في مـــبارزة، ولـــم يمهل سلمة ثابتا أن قتله، في حين ثبت عكاشة لطليحة فنادى طلـــيحة أخـــاه ســـلمة وقال له: "أعني على الرجل فإنه آكلي" فتعاونا على عكاشة[1] فقتلاه ثم رجعا، وقد أدركا من عثورهما على هذه الطليعة أن جيش خالـــد على وشك الوصول وأقبل خالد بجيشه حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلا فلـــم ينتـــبهوا إلـــيه حتى داسته الإبل بأخفافها. فكبر ذلك على المسلمين، ثم نظروا فإذا عكاشة بن محصن صريعا، فجزعوا لذلك وقالوا: "قتل سيدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم". حينذاك كان عدي بن حاتم ينشط في بنـــي طيىء لتثبتها على الإسلام فبعث إلى خالد يقول له سر إلي فأقم عندي أياما حتى أبعث إلى قبائل طيىء فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ثم أصحبك إلـــى عـــدوك". فلما رأى خالد ما بجنده من الجزع قال لهم: "هل لكم إلى أن أمـــيل بكـــم إلى حي من أحياء العرب كثير عددهم، شديدة شوكتهم، لم يرتد منهم عن الإسلام أحد؟[2]. قالوا: ومن هذا الحي الذي تعني؟ فنعم والله الحي هو!، قال: طيىء. قالوا: وفقك الله، نعم الرأي رأيت"[3].

فمال بالجيش حتى نزل عند طيىء في أرك مدينة جبل سلمى[4].

([1]) قـــتل عكاشة وهو ابن خمس وأربعين سنة وكان من أحمل الرجال ﷺ. سير أعلام النبلاء 1/ 223 .

([2]) الطبري 254/3، عن هشام بن أبي محنف عن سعد بن مجاهد عن المحل بن خليفة عن عدي بن حاتم قال: "بعثت إلى خالد بن الوليد أن سر إلي" .

(3) الطبـــري 254/3، عـــن هشـــام عن أبي محنف عن عبد السلام بن سويد أن بعض الأنصار حرمه .

([4]) الطبري 255/3، عن هشام عن جديل بن خباب البنهاني من بني عمرو بن وهب .

وفي رواية أخرى[1] أنه نزل جبل أجأ، وليس لهذا الخلاف أثر يذكر على ما نحن بسبيله.

معركة بزاخة

وعــبأ خالــد قــواته وهو في منازل طيىء ثم سار بهم على تعبئة إلى بــزاخة، فلمــا كــان بالغمر[2] أخذ المسلمون رجلا من بني أسد عالما بأمر طليحة فأتوا به خالدا. فقال له خالد: "حدثنا عن طليحة وعما يقول لكم، فقال: إنــه يقول: والحمام واليمام والصرد الصوام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليبلغن ملكــنا العــراق والشــام". وســأل قوم من بني طيىء خالدا أن يوجههم في المعــركة إلى قتال قبائل قيس عيلان[3] وذلك بسبب الحلف الذي بينهم وبين بنــي أسد. فلم يعترض خالد وقال: "والله ما قيس بأهون الشوكتين، اصمدوا إلى أي القبيلتين أحببتم" ولكن عديا اعترض وقال: لو ترك هذا الدين أسرتي الأدنــى فالأدنــى مــن قومي لجاهدتهم عليه، فأنا امتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم!؟ لا لعمر الله لا أفعل!، فقال خالد: إن جهاد الفريقين جميعا جهاد، لا تخالــف رأي أصحابك، امض إلى أحد الفريقين، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط" .

وإذا فقــد اخــتص بنو طيىء بقتال حلفاء بني أسد في حين تولى سائر جــيش خالد أمر بني أسد أنفسهم. وحينما صار طليحة ومعسكره على مرأى البصر قال عدي لخالد[4]: "يا أبا سليمان اجعل قومي مقدمة أصحابك. فأجابه خالد: يا أبا طريف إن الأمر قد اقترب، وأنا أخاف أن أقدم قومك فإذا لحمهم القــتال انكشــفوا فانكشف من معنا، ولكن دعني أقدم قوما صبرا لهم سوابق وهم من قومك (يقصد المهاجرين والأنصار). قال عدي: الرأي ما رأيت" .

([1]) الطبري 2553 عن هشام عن أبي محنف عن اسحق

([2]) الطبري 260/3 س ش س عن سهيل بن يوسف.

([3]) الطبري 255/3 عن هشام عن أبي محنف عن سعيد بن مجاهد.

([4]) الاكتفا في مغازي المصطفى (حروب الردة) 45

وانتهى خالد والمسلمون إلى عسكر طليحة، وقد ضربت لطليحة قبة من أدم (جلــد مدبوغ) وأصحابه حوله معسكرون، فانتهى خالد ممسيا، فضرب عسكره على ميل أو نحوه من عسكر طليحة، وخرج يسير على فرس، معه نفــر مــن أصـــحاب النبي ﷺ فوقف من معسكر طليحة غير بعيد، ثم قال: "يخـــرج إلى طليحة. فقال أصحابه: لا تصغر اسم نبينا وهو طلحة!، فخرج طلــيحة فوقع فقال له خالد: إن من عهد خليفتنا إلينا أن ندعوك إلى الله وحده لا شـــريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن تعود إلى ما خرجت منه فنقبل مــنك ونغمــد ســيوفنا عنك. فقال: يا خالد، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول وأني نبي مرسل يأتيني ذو النون كما كان جبريل يأتي محمدا. وكان قــد ادعى هذا في عهد النبي، فقال ﷺ "**لقد ذكر ملكا عظيما في السماء يقال له ذو النون**". فلما أبى طليحة على خالد أن يقر بما دعاه إليه انصرف خالد إلـــى معسكره، فاستعمل تلك الليلة على حرسه مكنف بن زيد الخيل، وعدي بـــن حاتم، وكان لهما صدق ونية ودين، فباتا يحرسان جماعة من المسلمين، فلما كان في السحر أنهض خالد فعبأ أصحابه، ووضع ألويته مواضعها، ودفع اللواء الأعظم إلى زيد بن الخطاب فتقدم به، وتقدم ثابت بن قيس بن شماس بلواء الأنصار. وطلبت طيىء لواء يعقد لها فعقد خالد لواء ودفعه إلى عدي بـــن حاتم. سمع طليحة حركة[1] المسلمين فعبأ أصحابه. وجعل خالد يسوي الصفوف على رجليه وطليحة يسوي أصحابه على راحلته، حتى إذا استوت الصـــفوف زحـــف بهم خالد حتى دنا من طليحة، فلما انتهى إليه خرج إليه طليحة بأربعين غلاما جلدا من جنوده مردا فأقامهم في الميمنة فقال: اضربوا حتـــى تأتـــوا الميسر. فتضعضع الناس ولم يقتل أحد، ثم أقامهم في الميسرة ففعلوا مثل ذلك، وانهزم المسلمون. فقال رجل من هوازن حضرهم يومئذ إن خالـــدا لما كان ذلك قال "يا معشر الأنصار الله الله" واقتحم وسط القوم وكر

---

(1) الاكتفا في مغازي المصطفى 47 .

عليهم أصحابه فاختلطت الصفوف واختلفت السيوف بينهم وضرّس خالد في القتال فجعل يقحم فرسه ويقولون له: الله الله فإنك أمير القوم ولا ينبغي لك أن تُقْـدم. فـيقول: "والله إني لأعرف ما تقولون، والله ما رأيتني أصبر وأخاف هزيمة المسلمين".

وذكر الكلبي عن بعض الطائيين أنه نادى يومئذ مناد من طيىء عند ما حمل أولئك الأربعين غلاما على المسلمين "يا خالد عليك سلمى[1] وأجا فقال بـل إلى الله الملجأ". ثم حمل فوالله ما رجع حتى لم بق من أولئك الأربعين رجل واحد. وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما. وتراد الناس بعد الهزيمة واشتد القتال وأسر حبال بن أبي حبال من رجال طليحة فأرادوا أن يبعثوا به إلى أبي بكر فقال: "اضربوا عنقي ولا تروني محمديكم هذا". فضربوا عنقه.

ودارت المعـركة بين خالد وطليحة وكان جيش طليحة يزيد على جيش خالـد بأكثر من ألف مقاتل كان منهم سبعمائة من بني فزارة بقيادة عيينة بن حصن. وكان طليحة[2] متلففا في كساء له بفناء بيت له من شعر[3] يتنبأ لهم والمعركة على أشدها وقد شدد خالد ضغطه على جيش طليحة، فدخل عيينة على طليحة وسأله: "هل جاءك جبريل بعد؟ قال: لا، فرجع عيينة يقاتل حتى إذا هـزته الحرب عاد إلى طليحة جزعا وقال له: لا أبا لك! أجاءك جبريل بعـد؟ قـال: لا والله، قال عيينة: حتى متى؟ قد والله بلغ منا. ثم رجع فقاتل والدائـرة تـدور على المرتدين حتى إذا بلغ منه كر على طليحة فسأله: هل جاءك جبريل بعد؟ قال: نعم، قال: فماذا قال لك؟ قال لي: إن لك رحا كرحاه وحديـثا لا تنساه. قال عيينة: أظن أن قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه، ثم صاح في قومه يا بني فزارة هكذا فانصرفوا، فهذا والله كذاب".

---

(1) سلمى وأجا جبلا طيىء .

(2) الطبري 256/3 عن أبي حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق، الاكتفا في مغازي المصطفى/ 49 عن ابن اسحق أيضا .

(3) وفي رواية أخرى أنه كان في قبة من أديم ضربت له .

فانصـــرفوا وانهـــزم جمعهـــم وأقبل بنو أسد على طليحة يقولون: "ماذا تأمرنا؟ وكان طليحة قد أعد فرسه عنده وهيأ بعيرا لامرأته النوار، فقام فوثب على فرسه وحمل امرأته ثم انطلق بها وهو يقول لقومه: من استطاع منكم أن يفعـــل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل، قاتلوا عن أحسابكم[1] فأما دين فلا ديـــن ثم سلك طريقا يقال لها الحوشية إلى الشام فنزل على بني كلب بالنقع" وفي رواية ابن الأثير وكذا في رواية الذهبي أنه أقام عند بني جفنة" وانفض جمعه وانتهت حركته وقتل من قومه عدد كبير؟

قـــال عـــبد الله بـــن عمر[2] بن الخطاب وكان في جند خالد في بزاخة "نظـــرت إلـــى رايـــة طليحة يومئذ حمراء يحملها رجل لا يزول بها فترا، فنظـــرت إلى خالد أتاه فحمل عليه فقتله فكانت هزيمتهم، فنظرت إلى الراية تطـــؤها الخـــيل والإبل والرجال حتى تقطعت، ولقد رأيت خالدا يوم طليحة يباشر القتال بنفسه حتى ليم في ذلك، ولقد رأيته يوم اليمامة يقاتل أشد القتال –إن كان مكانه ليتقى– حتى يطلع إلينا منبهرا" .

وكـــان مـــرتدو بني عامر وقبائل من سليم وهوازن[3] قريبا يرقبون ما يجـــري فلما انهزم طليحة أقبلوا يقولون: "ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا" .

وســـقط عيينـــة بن حصن أسيرا، أسره عروة بن مُضَرِّس بن أوس ابن حارثة[4] بن لام الطائي فأراد خالد قتله حتى كلمه فيه رجل من بني مخزوم فأوثقه خالد وكذا قرة بن هبيرة وبعث بهما إلى أبي بكر فكان غلمان المدينة ينخسون عيينة بالجريد ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل ويقولون: "أي عدو

([1]) الطريق إلى المدائن 168 وأسد الغابة 2639 والاكتفا في مغازي المصطفى 50 .

([2]) الاكتفا في مغازي المصطفى 48 عن الواقدي .

([3]) الطبرى 256/3، 260 عن أبن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن طلحة ابن يزيد بن ركانة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

([4]) الاكتفا في مغازي المصطفى 49 عن بن اسحق أيضا .

الله، أكفـرت بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما كنت آمنت بالله قط". فحقن أبو بكر دماءهمـا. ولم يصب خالد في بزاخة[1] أحداً من عيالات بني أسد ذلك أنهم كانوا قد أحرزوهم بعيدا بين مثقب[2] وفلج؛ في حين كانت عيالات قيس بين فلج وواسط فما أن انهزموا حتى أقروا جميعا بالإسلام خشية السبي فاستحقوا الأمان .

وبعد فرارة إلى الشام قال طليحة[3] يذكر ما كان:

زعمـتم بـأن القـوم لـن يقتلوكم ... أليسـو وإن لـم يسـلموا بـرجال
عـدلت لهـم مصـدر الحمالة إنها ... معـودة قـتل الكمـاة تـرال
فـيوما نقـي بالمشـرفية حـدها ... ويـوما تـراها فـي ظـلال عوال
ويـوما تراها في الجلال[4] مصونة ... ويـوما تـراها غيـر ذات جـلال
عشـية غـادرت ابـن أقـرم ثاويا ... وعكاشـة الغنمـي عـند مجـال
فـإن تـك أذواد أصـبن ونسـوة ... فلـن يذهـبوا فـرغا بقـتل حبال

ولـم يقبل خالد[5] من أحد من أسد ولا غطفان ولا هوازن ولا سليم ولا طيىء إلا الإسلام، وأن يأتوه بالذين حرقوا المسلمين ومثلوا بهم وعدوا عليهم حال ردتهم. فأتوه فكما فعلوا بالمسلمين فعل بهم فأحرقهم بالنيران ورضخهم بالحجـارة ورمى بهم من شواهق الجبال ونكسهم في الآبار وخزقهم بالنبال، فاقتص من كل من ارتكب شيئا من ذلك بالمسلمين بمثله.

---

(1) الطبري 261/3 عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع عن عبد الرحمن بن كعب عمن شهد بزاخة من الأنصار .

(2) طريق العراق من الكوفة يقال لها مثقب . وقبل طريق ما بين اليمامة والكوفة – معجم البلدان .

(3) الاكتفا 51 . تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير 2203 بعض الاختلاف .

(4) ما يشد على الخيل من غطاء .

(5) الطبري 262/3 عن أبي عمروا وأبي ضمرة عن ابن سيرين .

وكتب أبو بكر إلى خالد[1] "ليزدك ما أنعم الله به عليك خيرا، واتق الله فـي أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. جد في أمر الله ولا تنـين. ولا تظفرن بأحد قتل المسلمين إلا قتلته ونكلت به غيره، ومن أحببت ممن حاد الله أو ضاده ممن ترى أن في ذلك صلاحا فاقتله" .

فأقام خالد على بزاخة شهراً يصعد عنها ويصوب ويرجع إليها في طلب هـؤلاء، حتى أتم مهمته بها. فخرج منها إلى البطاح حيث كان هدفه التالي إلـى ردة بنـي تمـيم بزعامة مالك بن نويرة وقد قتل مالك في هذه العملية وعادت تميم إلى الإسلام فاتجه من بطاح بني تميم إلى اليمامة حيث مسيلمة الكذاب في بني حنيفة وقضى عليه وقتله أيضا.

لن نعرض هنا لردة تميم وردة حنيفة حتى لا نبتعد عن غايتنا من دراسة سـيرة طلـيحة بـن خويلد. كذلك سار العلاء بن الحضرمي وكانت وجهته البحـرين[2] هناك، كان الحطم بن ضبيعة يتزعم ردة قبائل بكر بن وائل وقد حصـروا الثابتـين على إسلامهم في جواثا. كذلك سار قيس بن عاصم في مسـلمي بني تميم وانضم إلى العلاء فقضيا على ردة الحطم وأنقذا المسلمين بجواثان وتم إبادة المرتدين في جزيرة دارين .

مثل هذا حدث في كافة أرجاء شبه الجزيرة فقضت جيوش أبي بكر على الردة في كل مكان وعادت جزيرة العرب وحدة مسلمة .

طليحة بعد بزاخة

لم يزل طليحة بن خويلد مقيما في بني كلب حتى توفي أبو بكر ﷺ وعلم وهو في منفاه الذي اختاره لنفسه أن أسداً وغطفان وعامرا قد أسلموا فانقطع أملـه تماما من أمر الردة فأسلم، ثم خرج إلى مكة معتمرا في خلافة[3] أبي

---

(1) الطبري 263/3 س ش س عن أبي عمرو عن نافع

(2) الطريق إلى المدائن 177 .

(3) الطبري 261/3 عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع عن عبد الرحمن بن كعب عمن شهد بزاخة من الأنصار .

بكـــر. ومر بجانب المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طليحة، قال: "ما أصنع به؟ خلوا عنه فقد هداه الله للإسلام" ومضى طليحة نحو مكة فقضى عمرته .

حيـــنذاك كانت الفتوح قد بدأت وقد حرم أبو بكر على كل من سبقت له ردة أن يخرج غازيا في سبيل الله. فلما استخلف عمر جاء طليحة إلى المدينة ليبايعه فقال له عمر: "أنت قاتل الرجل الصالح عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم[1] والله لا أحبك أبدا!" وهنا تظهر لباقة طليحة وبلاغته وحضور بديهته، قـــال: "يا أمير المؤمنين، هما رجلان أكرمهما الله بيدي، ولم يهني بأيديهما! وإن الـــناس قد يتصالحون على الشنآن. قال عمر: أنت الكاذب على الله حين زعمت أنه أنزل عليك، إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئا، فاذكـــروا الله قياما فإن الرغوة فوق الصريح، فقال طليحة: يا أمير المؤمنين ذلـــك من فتن الكفر الذي هدمه الإسلام كله، فلا تعنيف علي ببعضه، فأسكت عمـــر[2]"، ثـــم بايعـــه وقال له: "يا خدع، ما بقى من كهانتك؟ قال: نفخة أو نفخـــتان بالكير" . ثم رجع إلى دار قومه من مواطن بني أسد فأقام بها حتى خرج إلى العراق غازيا مع سعد بن أبي وقاص .

لقد بدأت الفتوح في عهد أبي بكر بمجرد القضاء على الردة ومع إشراقة العـــام الثاني عشر من الهجرة واستمرت في العراق وفي الشام ولكن طليحة باعتباره مرتداً سابقاً كان كما ذكرنا محظوراً عليه المشاركة في الفتوح حتى قدم المثني بن حارثة من العراق إلى أبي بكر بالمدينة على أثر خروج خالد بنصف جيش المسلمين من العراق إلى الشام. جاء المثنى ومعه مشروع جديد يقتـــرحه للتعبئة العامة ويستأذنه بموجبه في السماح لمن ظهرت توبته وندمه مـــن أهـــل الردة وحسن إسلامه أن يشارك في الفتوح، وأخبره أنه لم يخلف أحـــداً أنشط منهم إلى قتال الفرس. كان أبو بكر حينذاك يحتضر في مرضه

(1) تاريخ الإسلام 129/3 .

(2) معجم البلدان – مادة بزاخة 408/1 .

فاســتدعى خليفته عمر وأوصاه بتنفيذ اقتراح المثنى ثم أسلم الروح في ليل ذلك اليوم الاثنين (21 جمادى الآخرة 13 هــ 22 أغسطس 634م).

فتوح العراق في عهد أبي بكر

مـــا أن تم القضاء على ردة بني حنيفة حتى بعث أبو بكر إلى خالد ابن الولــيد لفــتح العــراق من ناحية الأبلة بجهة البصرة على أن تكون وجهته الحيــرة، وفي نفس الوقت بعث عياض بن غَنم ليفتح دومة الجندل ثم يسلك الصــحراء إلــى المصيخ بشمال العراق ليبدأ غزوه من شماله نحو الحيرة حيث يلتقي بخالد بن الوليد ثم يقوم أحدهما بعبور الفرات نحو المدائن .

مــن حيث كانت خطة أبي بكر تقضي بأن يبدأ خالد بالأبلة ومن حيث كان خالد حينذاك بالنباج في اليمامة بعد القضاء على مسيلمة الكذاب فلم يكن مســاره من النباج إلى الأبلة يمر في ديار بني أسد، فقد كانت منازلهم على الطــريق الآخــر من نجد إلى الحيرة. لقد حشد خالد معه من القبائل القريبة والتي كانت على طريقه ولكن قبيلة أسد لم تكن على ذلك الطريق، فضلا عن اشــتراك كثير من بني أسد في الردة، لهذا وذاك لم يكن في جيش خالد كثير من بني أسد .

كانــت أولي معارك خالد في كاظمة على ساحل الخليج، ثم وجد حشدا للفــرس بالمذار على نهر دجلة فاتجه إليه وهزمه وبدده وعاد يساير الفرات فهــزم جيشــا آخر للمجوس بالولجة بالصحراء ثم هزم جمعا آخر في أليس وفــتح امغيشيا ثم الحيرة فكان هو الأسبق إليها في حين كان عياض بن غنم مــازال يحاصــر دومــة الجندل. وقام خالد ببعض المعارك الأخرى بشمال العــراق كان الهدف منها تطهير تلك التخوم حتى يستطيع إنجاد عياض في فــتح دومــة الجــندل وقد تم له ذلك وفتح دومة ثم عاد إلى الحيرة وقد ضم عياضا وجنده إلى جيشه وعاد يكتسح شمال العراق ويفرغ من قوات الفرس وحصونهم به حتى يقوم بعد ذلك باختراق وعبور الأنهار إلى المدائن.

أحـــرز خالد في العراق خمسة عشر نصرا لم يتخللها هزيمة واحدة في حين كانت جيوش المسلمين تتعثر في الشام، فأمره أبو بكر بالانتقال بنصف جيشـــه من العراق إلى الشام لإنجاد المسلمين هناك فنقصت قوات المسلمين بالعـــراق. لـــذلك جـــاء المثنى بن حارثة إلى أبي بكر بالمدينة يعرض عليه الســـماح للمحظـــور علـــيهم ممن سبقت لهم ردة بالخروج في الغزو ولقي مشـــروع المثنى قبولا عند أبي بكر غير أنه توفى من ليلته تلك بعده- بإنفاذ ذلك.

وفـــتح عمر باب التطوع وبعث المتطوعين إلى العراق وقد أسند القيادة إلى أبي عبيد بن مسعود الثقفي. وخاض أبو عبيد أربع معارك ناجحة ثم مني بهـــزيمة منكرة تبدد جيشه على أثرها واستشهد فيها وعاد المثنى بن حارثة يمســـك بزمام المسلمين هناك، كما عاد عمر يحشد كل طاقات شبه الجزيرة لجـــيش جديد يقوده سعد بن أبي وقاص. في هذا الجيش بدأ طليحة بن خويلد يظهـــر من جديد في صورة جد مغايرة لما سبق. من هنا بدا بطلا من أبطال الفتوح على ما سيظهر لنا في الأبواب التالية.

وقد ذكر ابن كثير عن طليحة أنه شهد اليرموك[1]

([1]) البداية والنهاية 118/7 .

الباب الثاني
معركة القادسية

* مقدمات .
* تجهيزات الحملة .
* استكشاف .
* بنو أسد في الجبهة
* اليوم الأول – أرماث .
* اليوم الثاني – أغواث.
* اليوم الثالث – عماس .
* اليوم الرابع – سقوط المدائن .
* معركة جلولاء

مقدمات

كانت معركة القادسية من كبرى المعارك الحاسمة في تاريخ العالم. ذلك أن أثـرها بقـى مع الزمن إلى يومنا هذا وكان من آثارها المباشرة خروج العـراق مـن سلطان فارس ومن ديانة المجوس إلى سلطان العرب وديانة الإسلام. ففي شهر رمضان(13هـ) استطاع المثني بن حارثة أن يدحر بعدد قلـيل مـن المسلمين جيشا فارسيا ضخما في البويب فانفتحت أبواب العراق أمامه وراحت قواته تجوس العراق من شماله إلى جنوبه في غارات سريعة خاطفـة لا تجـد من يقف في وجهها أو يعوقها. وكان من أثر ذلك أن وحد الفـرس صـفوفهم واجـتمعت كلمتهم على آخر ملوكهم يزدجرد الثالث بن شـهريار بن كسرى برويز وبدءوا يستعدون لهجوم مضاد. حينذاك انسحب المثني بكل قواته من أرض العراق إلى تخوم الصحراء حيث أدرك أن قواته قلـيلة العدد لم تكن لتحتفظ بما فتحت أمام الاستعدادات الجديدة للفرس. ورداً علـى ذلـك حشد عمر كل ما أمكنه من قوات لمعاودة الهجوم على العراق وانتزاعه من جديد واختار سعد بن أبي وقاص صحابي رسول الله ﷺ ليقود هذا الجيش .

تجهيز الحملة[1]

كانـت هذه الحملة أربعة آلاف حين خرجت من المدينة وظلت الأمداد تـتدفق علـيها بالإضافة إلى ما يحشده سعد في طريقه، فضلا عن انضمام جيش المثنى إليهم حين اقتربوا من العراق فبلغت جموعهم بضعة وثلاثين ألفا كان بنو أسد ثلاثة آلاف منهم وكان طليحة بن خويلد واحدا منهم. هذه الآلاف الـثلاثة حشـدها سـعد ابن أبي وقاص وهو بزرود في طريقة إلى القادسية وأنزلهم على حدود أرضهم بين الحَزْن والبُسَيْطَة ثم أجرى سعد تنظيم جيشه وهو بشراف فجعل كل عشرة أفراد عرافة عليها عريف وجعل على الرايات

---

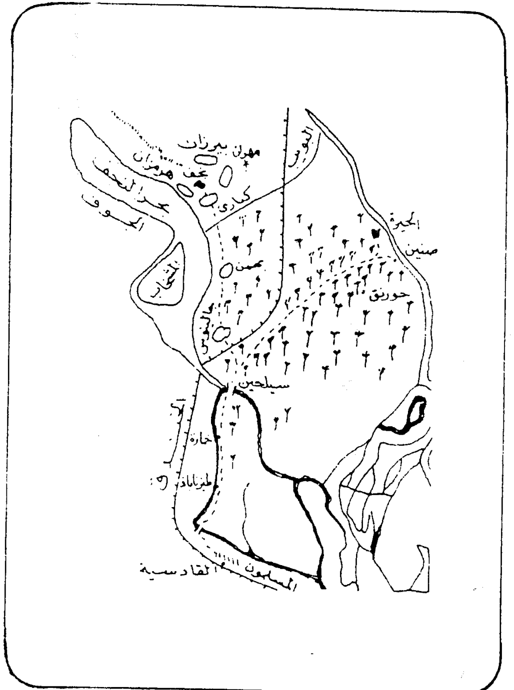
(1) القادسية 34 - 92

رجــالا من أهل السابقة وجعل الجيش كله عشرة أقسام فكل عشر يزيد قليلا على الثلاثة آلاف، كما جعل لجيشه مقدمة وميمنة وميسرة ومؤخرة وطلائع للقيام بأعمال الدوريات وهي أشبه بالقوات الخاصة في الجيوش الحديثة، كما جعــل فرســانا ومشاة وركبانا وهي شئون النقل والحملة. كما عين الأطباء والقضاة والداعية والترجمان والكاتب.. الخ ولم يكن في أي من تلك القيادات أي مــرتد سابق، وإذا فلم يكن طليحة في هذا الجيش سوى فرد ليس له من القــيادة شيء ولا من المسئولية إلا نفسه. وكانت خطة عمر لمعركة القادسية تقوم على اختيار مكان على الحدود الطبيعية بين الصحراء والمسالك المائية للعــراق حتى لا يتورط في القتال داخلها، فإن كانت الدائرة للمسلمين كانت طبــيعة الأرض من وراء عدوهم عائقا لانسحابهم ونكبة عليهم، وإن كانت على المسلمين كانت الصحراء من ورائهم موئلا لهم يلوذون به، ولذلك اختار القادســية لتدور على أرضها معركة حاسمة بهدف كسر الجيش الكبير لدولة فارس وسحقه .

ونــزلت حملة سعد القادسية وكان يحصرها من أمامها ومن خلفها نهر العتيق وخندق سابور وعن يمينها وعن شمالها بعض البرك والمستنقعات من بطائح العراق وفيوض أنهاره. وطال انتظار المسلمين بالقادسية إلى أن يأتي إلــيهم جــيش الفرس، ولكن قائده رستم كان يطاول. إذ ذاك نهج سعد على إرســال سرايا في غارات على مختلف جهات العراق بهدف الحصول على القوات والتموين وكحرب استنزاف لأعدائهم فضلا عن الهدف المباشر وهو الضغط على جيش فارس وإحراجه حتى يحضر إلى الأرض التي اختاروها بالقادسية .

وأخيــرا جــاء رستم في مائة وعشرين ألف مقاتل نصفهم من الفرسان ونصــفهم مــن المشاة فضلا عن ثمانين ألفا من الخدم والتبع والرقيق فكانوا جمــيعا مائتــي ألف فسار سيرا بطيئا من المدائن "عاصمة دولتهم على نهر دجلــة جنوبي موضع بغداد الحالي" نحو القادسية، ونزل بجيشه عدة منازل

علـــى الطـــريق حتـــى بلغ النجف ثم أمر جالنوس قائد مقدمته بالتقدم نحو القادسية ومن خلفه بهمن جاذويه على وحدة أخرى .



خريطة رقم (4)

استكشاف

في صبيحة ذاك اليوم بعث سعد بعض دورّياته الاستكشافية لتنظر أخبار جيش رستم، وكانوا يسمون تلك الدوريات "طلائع" وكانوا لا يختارون لها إلا الأبطال الذين يتوفر فيهم –إلى جانب بطولتهم– القدرة على التصرف فأرسل سـعد طلـيحة بـن خويلد بمفرده في غير قوة من أصحابه وعمرو بن معد يكـرب الـزبيدي فـي خمسة من أصحابه طليعة، طليحة كان مكلفاً وحده باستكشـاف معسـكر رسـتم في النجف في حين كانت دورية عمرو مكلفة باستكشـاف معسكر جالنوس. وأمرهم سعد أن يصيبوا له رجلا من الفرس ليسـتخبره. كانـت معلـومات المسلمين السابقة أن هذه المعسكرات جميعا بالنجف ولم يكونوا قد علموا بعد ببدء تقدمها. وعبر طليحة وعمرو ومن معه قنطرة القادسية فما ساروا حوالي سبعة كيلوا مترات حتى رأوا جيش الفرس المجوسي يتحرك في خيل غفيرة بسلاحها قد ملئوا الأرض.

ورأي بعضهم أن الدورية قد حققت هدفها! فهي قد أرسلت لترى أحوال عدوهم وقد رأوها.

قالـوا: ارجعـوا إلـى أميركم فإنه سرحكم وهو يرى أن القوم بالنجف فأخبـروه الخبـر، وقال آخرون: ارجعوا لا ينذر بكم عدوكم (يعني يحذركم ويستعد لكم)، فقال عمرو: صدقتم" .

ولكن طليحة كان له رأي آخر يعكس شخصيته الجريئة التي لا تجامل . قال "كذبتم! ما بعثتم لتخبروا على السرح (تحرك جيش المجوس) وما بعثتم إلا للخبر.

قالـوا: فما تريد؟ قال: أريد أخاطر القوم أو أهلك، قالوا: أنت رجل في نفسـك غدر، ولن تفلح بعد قتل عكاشة ابن محصن، فارجع بنا. فأبى طليحة وانفصل عنهم.

وبلغت الأخبار إلى سعد وهو في القادسية، فبعث في آثارهم قيس بن هبيرة الأسدي على سرية من مائة فارس وكانت تعليماته إليه "إن لقيت قتالا فأنت عليهم" .

وسار قيس فالتقى بعمرو وقد فارقه طليحة وسار لوجهه. وسأل قيس عمرا عن طليحة فأجابه بأن لا علم له به. وساروا جميعا حتى طلعوا على النجف من جهة الجوف ورأوا معسكرات المجوس أمامهم .

قال عمرو بن معدي كرب: أريد أن أغير على أدنى عسكرهم.

قال قيس متعجبا: في هؤلاء؟

قال: نعم.

قال قيس: لا أدعك والله وذاك، أتعرض المسلمين لما لا يطيقون؟ " .

قال عمرو: وما أنت وذاك؟ .

قال: إني أمرت عليك، ولو لم أكن أميرا لما أدعك وذالك، وشهد نفر ممن مع قيس أن سعدا جعله أميرا عليه وعلى طليحة.

وتذمر عمرو من ذلك ولكنه رجع مع قيس إلى سعد وقد اصطادوا بعض الأسرى من المجوس وبعض الخيل، وشكا كل منهما صاحبه إلى سعد.

فقال سعد: يا عمرو الخير والسلام أحب إلى من مصاب مائة بقتل ألف. أتعمد إلى حلبة فارس فتصادمهم بمائة؟ إن كنت لأراك أعلم بالحرب مما أرى.

قال عمرو: إن الأمر لكما قلت .

طليحة الكشاف

هذا عن طليعة عمرو، فماذا عن طليحة بعد أن ترك أصحابه؟ سار وحده على فرسه مستخفيا بجانب المياه على ما أشرف من الأرض على ريف العراق حتى بلغ معسكر رستم بالنجف فلما جاء الليل تسلل إلى دخله وبات فيه يتفحصه ويتنقل بين جنباته كأنه واحد منهم. لقد كان تصرف طليحة كله من أوله إلى آخره يدل على منتهى الجرأة وعلى أن الخوف

والـوجل لا يجـدان سبيلا إلى قلبه، كان رجلا مفردا يقضي ليلا بأكمله في معسكر عدوه في حالة حرب يطوف وينظر ويتوسم، فلما كان آخر الليل أتى أفضل ما توسم في ناحية من المعسكر وفيها فرس أعجبه إلى جوار فسطاط أبـيض. فقطـع ربـاط الفرس بسيفه وربطه بلجام فرسه ثم خرج يعدو به. وشـعر المجوس بما كان وانطلقوا في أثره مسرعين حتى أن بعضهم ركب خيله دون أن يسرجه.

طليحة المبارز

انطلـق طلـيحة نحو القادسية التي تبعد نحوا من خمسة وعشرين كيلوا متـرا عن نجف والطريق مليئ بقوات المعسكرات المجوسية، ولحقه فارس مـنهم مـن معسـكر رستم أدركه مع خيوط الصباح، فلما أدركه المجوسي وصوب إليه رمحه ليطعنه مال طليحة بفرسه عن تصويب الفارس المجوسي وتلافى طعنته من خلفه فانصب الفارس بين يديه وصار أمامه فطعنه طليحة بـرمحه فقصم ظهره وانطلق يعدو بفرسه والفرس الذي غنم من المعسكر، ولحـق بـه فـارس آخـر فكان نصيبه مثل نصيب صاحبه الأول، وبنفس الأسـلوب، وظـل طليحة يعدو بفرسه والفرس الذي معه حتى أدركه فارس ثالـث وقد مر في طريقه بجثتي الفارسين الصريعين وكانا ابنا عمه فثارت دماؤه وازداد حنقا، فلما صوب الرمح نحو ظهر طليحة ليطعنه عدل طليحة فرسـه وتجـنب الطعـنة فانسكب الفارس أمامه. إذ ذاك كان قد اقتربا من معسـكر المسلمين بالقادسية فكر عليه طليحة شارعا رمحه ودعاه إلى الأسر ولم يكن أمامه إلا أن يستسلم أو يقتل فاستسلم وأمره طليحة أن يركض أمامه وهـو يسوقه من خلفه برمحه وهو على فرسه. وجاء جمع آخر من الفرس يجـدون في آثارهما فرأوا فارسيهما صريعين على الطريق وشاهدوا الثالث يجـري مستسلما أمام طليحة وقد أوشكا على دخول معسكر المسلمين فعادوا أدراجهم .

مسلم الفارسي

وفـــي القادسية كان المسلمون قد عرفوا باقتراب جيش المجوس فتعبئوا للقــتال ثم شاهدوا ذلك المشهد، طليحة على فرسه يسحب فرساً آخر وراءه ويســوق فارســياً بــرمحه أمامه يجري على قدميه ودخل معسكر المسلمين ففزعوا منه أول الأمر ثم ما لبثوا أن عرفوه فتركوه يمر. ودخل طليحة على سعد.

قال سعد: ويحك! ما وراءك؟ .

قـــال طلــيحة: دخلــت عساكرهم وجستها منذ الليلة وقد أخذت أفضلهم توسماً وما أدري أصبت أم أخطأت وها هو ذا فاستخبره .

قال الأسير: أتؤمنني على دمي إن صدقتك؟ .

قال: نعم الصدق في الحرب أحب إلينا من الكذب .

قـــال: أخبـــركم عن صاحبكم هذا (طليحة) قبل أن أخبركم عمن قبلي. باشـــرت الحـــروب وغشيتها وسمعت بالأبطال ولقيتها منذ أنا غلام إلى أن بلغـــت مـــا تـــرى، ولم أر ولم أسمع بمثل هذا. إن رجلا قطع عسكرين لا يجترئ عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفا يخدم الرجل منهم الخمسة والعشـــرة إلى ما هو دون، فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجـــند وهتك أطناب بيته فأنذرنا به فطلبناه. فأدركه الأول وهو فارس الناس يعـــدل ألف فارس فقتله، فأدركه الثاني وهو نظيره فقتله، ثم أدركته ولا أظن أننـــي خلفـــت بعـــدي من يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين وهما ابنا عمي فرأيت الموت فاستأسرت! .

ثـــم أخبره عن جيش فارس بأن الجند المقاتلين مائة وعشرون ألف وأن الأتباع مثلهم خدام لهم. ثم أسلم الأسير فسماه سعد مسلما واطمأن الأسير إلى وفـــاء المسلمين فعاد إلى طليحة فقال له: لا والله لا تهزمون ما دمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمواساة، لا حاجة لي في صحبة فارس وشـــهد مســـلم الفارســـي معركة القادسية مع المسلمين وكان من أهل الرأي

والبطولة والبلاء فيها، وله ذكر في الفتوح[1] بعد ذلك إذ كان مع المسلمين في فتح تكريت والموصل وحسن إسلامه واطمأن إليه المسلمون حتى استعمله عبد الله بن المعتم خليفة له على الموصل حين انضم إلى سعد بالكوفة بعد ذلك .

طليعة أخرى

كان طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب من كبار المرتدين وهما الآن من الأبطال المغاوير ومع ذلك لم يكن مسموحا لهما بتولي قيادات، من أجل العوامل مجتمعة كان وضعهما وأمثالهما شائكا فيه من الحساسيات ما فيه، وكان يحتاج إلى فطنة من سعد وإلى معاملة مدروسة محسوبة، ولقد مر بنا ما كان بين قيس بن هبيرة وعمرو بن معدي كرب. ولقد بعث سعد قيس بن هبيرة الأسدي في سرية إلى غارة أخرى فما أن سار حتى تراءي لسعد أن يبعث معه طليحة وعمرو فلحقا به وقد حاذى قنطرة القادسية وساروا جميعا حتى التقوا بخيل كثيرة من فرسان مقدمة جيش المجوس أرسلها قائدهم جالنوس نحو القنطرة. وصاح قيس ابن هبيرة: قاتلوا عدوكم يا معشر المسلمين، وبدأ القتال فتبارزوا ساعة ثم حمل عليهم بجنده فأصاب منهم اثنى عشر قتيلا وثلاثة أسرى وبعض الغنائم رجعوا بها إلى سعد فقال لهم: هذه بشرى إن شاء الله. إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدهم فلهم أمثالها .

وبلغة الحرب ومفاهيمها فإن لكلام سعد معناه. إنه يقرر أن المقدرة القتالية للفارس المسلم متمثلة في قيس وعمرو ومن كان معهم تتفوق على ما يقابلها في الجانب الآخر ولذلك يستبشر ويتنبأ بالغلبة في المعركة المرتقبة.

ثم قال سعد لطلحة وعمرو: كيف رأيتما قيسا؟

قال طليحة: رأيناه أكمانا (أشجعنا) .

وقال عمرو: الأمير أعلم بالرجال منا .

---

[1] فتوح الشرق بعد القادسية .

فأعطاهمـــا ســـعد الـــدرس الذي يهدف إليه، قال: "إن الله تعالى أحيانا بالإسلام وأحيا به قلوباً كانت ميتة وأمات به قلوباً كانت حية. وإني أحذركما أن تؤثرا أمر الجاهلية على الإسلام فتموت قلوبكما وأنتما حيان. الزما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق فما رأى الناس كأقوام أعزهم الله بالإسلام".

بنوا أسد في الجبهة

وأخيـــرا جاء جيش رستم وأراد أن يعبر القنطرة فأبى سعد أن يدع لهم القنطرة حتى لا ييسر لهم مواصلاتهم بقاعدتهم فأقبلوا على نهر العتيق تجاه قصر قديس حيث كان ينزل سعد وردموا معبرا عبروا منه ونزلوا على ضفة العتيق في مواجهة المسلمين. وصف كل فريق فرقه وصفوفه، وكان طليحة ضـــمن بنـــي أسد في الفرقة التي أعطيناها الرقم(7) بخريطة القادسية وكان مـــوقعها إلى يسار الوسط وإلى يمين الميسرة، كانوا ثلاثة آلاف وكان معهم ثلاثمائة من إخوتهم بني كنانة وكانت بنو تميم في قلب جيش المسلمين تماما وكانـــوا إلى يمين بني أسد في حين كانت ألفان من قبيلة بجيلة عن يسارهم. وكـــان يقابـــل بنـــي أسد وبجيلة في جيش رستم جند الباب يقودهم جالنوس وكانـــوا مقدمـــة رستم ولكنه عند صف صفوفه أدخلهم عن يمينه بينه وبين ميمنته التي كان يقودها هرمزان.

كانت المقدمة التي يقودها جالنوس تتكون من ستة أفيال من أفيال القتال. مـــع كـــل فيل اثنا عشر ألف فارس. واثنا عشر ألفا من المشاة. والحقيقة أن المسلمين قد واجهوا في القادسية أمرا عظيما واستمر القتال فيها أياما متتالية.

اليوم الأول – أرماث

كـــان سعد مريضا بعرق النساء وبدمامل وخراريج منعته من الركوب فانبطح على وجهه بأعلى القصر يشرف على ميدان المعركة ويبعث بأوامره إلـــى وحداته، وأرسل سعد إلى أمراء الجيش وإلى الذين تنتهي إليهم آراؤهم وإلـــى أصـــحاب النجدة وهنا يذكر الرواة أسماء طليحة بن خويلد وقيس بن هبيرة الأسدي وغالب بن عبد الله الليثي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي من

ذوي النجدة، وإلى الشعراء وذوي الفضل أرسل إليهم يقول: "انطلقوا فقوموا فـي الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عن مواطن البأس، فإنكم من العرب بالمكـان الذي أنتم به، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال" .

وكما رأينا طليحة في طلائعه نموذجا ممتازا للمقاتل ذي التدريب العالي فإننا نراه هنا أحد أجهزة الإعلام في جيش سعد يقوم بتحميس المسلمين ورفع معنوياتهم وهم بحضرة عدو متفوق عددا وعدة في معركة حاسمة كان ينتظر نتائجها العالم المعاصر حينذاك.

طليحة يوم أرماث

وكانت البداية التقليدية للمعركة أن يخرج بين الصفوف فرسان من كلا الطرفين للمبارزة كاستعراض للمقدرة القتالية ثم تتزاحف الصفوف بعد ذلك. وقـد وجه رستم كل جناحه الأيمن وكان فرقتان يقودهما هرمزان وجالنوس ومعهم ثلاثة عشر فيلا، وجههم نحو قبيلة بجيلة عن يسار بني أسد وصمدت بجـيلة حتـى كاد الفرس يطحنوها فأرسل سعد إلى بني أسد أن يدفعوا عن بجيلة .

وقـام طليحة بن خويلد خطيبا في بني أسد فقال: "يا عشيرتاه. إن المنوه باسـمه (يقصد أسدا) الموثوق به وإن هذا (سعد) لو علم أن أحدا أحق بإغاثة هـؤلاء مـنكم لاستغاثهم. ابتدئوهم الشدة وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحَرِبَة فإنمـا سـميتم أسدا لتفعلوا فعله. شدوا ولا تصدوا (يعني اهجموا ولا تقفوا مدافعين) وكروا ولا تفروا. لله در ربيعة، أي فرى يفرون وأي قرن يغنون، هل يوصل إلى مواقفهم! فأغنوا غناء مواقفكم أعانكم الله" .

شدوا باسم الله

فهجمت بنو أسد واختاروا أصعب الأعمال وأشق القتال فهاجموا الأفيال وما زالوا يطعنونها ومن حولها حتى أزاحوها عن بجيلة. وخرج أحد فرسان المجـوس للمبارزة فبارزه طليحة وما لبث أن قتله، وفي تلك الملحمة التقى

طلـيحة بجالنوس وجها لوجه فضربه طليحة على رأسه ضربة شديدة شقت خوذته ولم تنفذ إلى رأسه وقال في ذلك[1] .

أنـا ضـربت الجالـنوس ضربة حـين جـياد الخـيل وسط الكبة

وأثار بنو أسد إعجاب المسلمين فقاموا يقلدونهم.

حينـئذ وقد رأى المجوس ضراوة بني أسد وجهوا إليهم جالنوس وبهمن جاذويـه فـدارت الدائرة على بني أسد وهم ثابتون في موقفهم. وكان سعد يشـرف علـى المعـركة من القصر وكانت امرأته سلمى (أرملة المثنى بن حارثـة) تنظـر معه فصاحت تقول: "وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم" فلطم سعد وجهها مما هو فيه من الضيق وقال: "أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحا؟ يقصد أسدا ومن حولها.

فقالت سلمى: أغيرة أو جبنا؟ .

قـال: والله لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بي والناس أحق ألا يعذروني[2] .

وبعـث سعد إلى بني تميم (على يمين بني أسد) أن يعالجوا أمر الأفيال التي تتعامل مع بني أسد فخرجت فرسانهم ومعهم رماة يرمون ركبان الأفيال ليشـغلوهم حتى التف الفرسان خلف الأفيال فقطعوا الأحزمة والأربطة التي تربط توابيت الأفيال بها فسقطت الصناديق بمن فيها فقتلهم المسلمون فسرى عن أسد وظل القتال الذي بدأ بعد صلاة الظهر حتى الليل فتراجعت الصفوف إلى مواقفها الأولى وقد استشهد من بني أسد في هذا اليوم خمسمائة شهيد من آلافها الثلاثة وكان بنو أسد هم الذين حملوا عبء ذلك اليوم. وقضى الميدان ليلة هادئة بعد يوم شاق.

([1]) فتوح البلدان 642 – 647

([2]) الطبري 542/3 عن محمد وطلحة

575/3 عن ابن حميد عن ابن اسحاق عن وهب بن كميسان عن عبد الله بن الزبير .

اليوم الثاني – أغواث

وفـــي اليوم الثاني بدأت مقدمات جيش خالد الذي كان خرج من العراق إلـــى الشام بدأت تصل إلى القادسية عائدة من الشام وكان على هذه المقدمة القعقاع بن عمرو. وبدأت المعركة كالأمس بالمبارزات التقليدية. وامتاز اليوم عـــن ســـابقه باخـــتفاء الأفيال من صفوف المجوس حيث لم يكونوا قد أتموا إصـــلاح التوابيت التي تكسرت بالأمس فلما صلى المسلمون الظهر تزاحفوا فاقتتلوا حتى انتصاف الليل. وفي هذا اليوم جاء رسول من عند عمر بأربعة أســـياف وأربعـــة أفراس مكافأة لأصحاب البلاء الحسن فدعا سعد حمال بن مالك والربيل بن عمرو وطليحة بن خويلد –وثلاثتهم من بني أسد– وعاصم بن عمروا التميمي فأعطاهم الأسياف. ودعا القعقاع بن عمرو ونعيم وعتاب وثلاثـــتهم من بني تميم وعمرو ابن شبيب فأعطاهم الأفراس. وفي هذا اليوم استشـــهد مـــن المســـلمين ألفان وخمسمائة وقتل من المجوس عشرة آلاف تركوهم حيث قتلوا فلم يدفنهم قومهم[1].

اليوم الثالث _ عماس

فـــي هذا اليوم وصل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ومعه أكثر من عاد من جيش خالد، كذلك عادت الأفيال إلي الظهور في المعركة. وعادت الأفيال إلـــي ســـابق ســـيرتها فاستشار سعد مسلماً الذي أسره طليحة ومر بنا ذكره وغيـــره من الفرس الذين أسلموا وانضموا إلي المسلمين، استشارهم في أمر الأفيال فأشاروا عليه بقطع مشافرها وتوجيه الضرب إلي عيونها. وكان أكبر هذه الأفيال فيلاً أبيض أمام بني تميم وفيلاً أجرب أمام بني أسد. فقام بنو تميم بقطع مشفر الفيل الذي يواجههم ووضع القعقاع وعاصم رمحيهما في عينيه فأعمـــياه. في حين قطع بنو أسد مشفر الفيل الأجرب وعوروا إحدى عينيه. وولـــي الفـــيلان الأدبار يدوسان في صفوف المجوس ولهما عواء فاتبعتهما

(1) كانـــت الديانـــة المجوســـية تحـــرم دفن الموتى فكانوا يتركون الجثث لجوارح الطير تنهشها الطريق إلى المدائن 118 .

سائر الأفيال وانطلقت نحو المدائن فخرجت من المعركة. تم ذلك قبل الظهر ثم تزاحفت الصفوف بعد صلاة الظهر واستمر القتال حتى دخل الليل.

طليحة يوم عماس

وبلغ سعد أن هناك مخاضة أسفل العسكر خشي أن يفطن إليها المجوس فيجيئون منها. وأرد أن يرسل إليها اثنين من أقوى فرسانه وأشدهم جلداً ليقفا علي حراستها فبعث طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب وقال لهما: "إن وجـدتما القوم قد سبقوكما إليها فأنزلا بحيالهم وإن لم تجداهم علما بها فأقيما حتى يأتيكما أمري" .

فخرجا في بعض من معهما فلم يجدا أحدا بالمخاضة .

قال طليحة: "لو خضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم" .

فقال عمرو: لا بل نعبر أسفل .

قال طليحة: إن الذي أقول أنفع للناس .

وقال عمرو: وإنك تدعوني إلى مالا أطيق .

إنه موقف كبير الشبه بما كان منهما يوم بعثهما سعد طليعة إلي معسكر رستم بالنجف. وافترقا. فعبر طليحة بمفرده حتى طلع من وراء الفرس، في حينساير عمرو نهر العتيق إلي أسفل ومعه سائر الجند ثم شنوا غارة فأحس بهـم الفرس ووقع ما كان سعد يخشاه فبعث سعد قيس بن المكشوح المرادى فـي سبعين رجلا وقال له: إن لحقتهم فأنت أمير عليهم. وأدركهم قيس فوجد المجوس يتفوقون علي عمرو ومن معه في التحام مسلح فكفهم قيس ومن معه عـنهم وردهم ثم لام عمراً على تصرفه فتجادلا وعادوا إلى معسكرهم. أما طلـيحة فقد مضى حتى جاء خلف المجوس من جهة الردم الذي أنشئوه على العتيق فوقف هناك ثم كبر ثلاث تكبيرات وذهب فتاه منهم في الظلام. وروع الفـرس مـن ذلـك التكبير فقد كان معناه أن هناك مسلمين خلف ظهورهم وذهبوا يبحثون عنه فلم يعثروا له على أثر. وكما سمع المجوس التكبير فقد سـمعه المسلمون أيضا ولم يدروا ما هو ولكنهم فرحوا به وتحاجز الطرفان

ينظران ما كان ويجددان تعبئتهما. وعاد طليحة إلي سعد فأخبره بما كان. ثم عــادوا إلــى القتال من نفس الليلة ودخل طليحة مكانه من الصف، وإذا كان الإجهــاد قد بلغ منهم جميعا ومن خيلهم، فقد عمد الأبطال منهم إلى النزول عن الخيل والقتال راجلين وكان طليحة من هؤلاء، وامتد الالتحام حتى اليوم التالــي لا يــنطقون كلامهــم الهريــر مــثل ضبح الخيل ولذلك سميت ليلة الهرير[1]. قال الراوي أنس ابن الحليس[2]: "شهدت ليلة الهرير، فكان صليل الحديــد فــيها كصــوت القيون (الحدادين) ليلتهم حتى الصباح، أفرغ عليهم الصــبر إفراغا وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب والعجم أمرا لم يروا مثله قط وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد وأقبل سعد على الدعاء. الخ" .

اليوم الرابع

طلع صبح اليوم الرابع والقتال محتدم منذ صباح الأمس، وأصبح واضحا أن النصــر مع الصبر، اجتمع إلى القعقاع أبطال من بني تميم كانوا جماعة هــدفها الوصــول إلى رستم وتسلحوا بالصبر والثبات وشقوا طريقهم وسط المجــوس الــذين أصــابهم إعــياء شديد، وشد المسلمون على طول الجبهة وتسلحوا بالإيمان قبل أي سلاح آخر وأصروا إصراراً على أن يكون النصر لهــم. وبلغــت كتيبة القعقاع إلى سرير رستم وقد اقتلعت الريح مظلته وقام رستم هارباً نحو نهر العتيق من خلفه فأدركه رجل من الرباب يقال له هلال بن علفه فقتله .

وشــرع المجوس في الانسحاب عبر الردم فاستطاع بعض من بقي من الجناح الأيمن أن يعبر، ثم انهار الردم وأخذت سيوف المسلمين المجوس من كل جانب.

([1]) القادسية الطبري 4 عن عمرو الأعور/ ومحمد عن عمه والنضر عن أبي الزفيل .

([2]) الطبري 4 س ش س عن محمد بن نويرة عن عمه أنس بن الحليس .

واستشـــهد من المسلمين في هذين اليومين وليلة الهرير التي بينهما ستة آلاف شـــهيد مقابـــل عشـــرة آلاف من المجوس خلاف قتلى الأيام السابقة وخـــلاف ثلاثـــين ألفا كانوا مقترنين بالسلاسل حتى لا يفروا سقطوا جميعا بسلاسلهم في نهر العتيق. وطارد المسلمون من فر من أعدائهم حتى النجف يقتلون من عثروا عليه منهم. انتهت المعركة ولم ينس سعد القائد المنتصر أن يهنـــئ جـــنوده بما حقق الله على أيديهم فاحتفلوا بذلك وانطلقت ألسنتهم على ســـجيتها العربية بالشعر. وفي زحام ذلك الشعر قال رجل من بني أسد بيتين يهجو بهما سعداً وعيره بقاءه في قصر القادسية متجاهلاً أن ذلك كان بسبب ما أصابه من مرض قال:

نقاتـــل حتـــى أنـــزل الله نصـــره   وســـعد بـــباب القادســـية معصمُ
فَأُبْـــنا وقـــد آمـــت نســـاء كثيرة   ونســـوة ســـعد لـــيس فـــيهن أيم

ولا شـــك أن مثل ذلك الهجاء كان دليلا علي منتهى تمتع الجندي المسلم في حرية التعبير عن رأيه حتى وهو في الميدان في حالة حرب. وهنا أيضا نلمس في طليحة موهبة أخرى هي موهبته في الشعر قال:

طـــرقت سُـــلَيْمي أرجـــل الركب   أنـــي اهـــتديت بسَبْسَب سهبِ[1]
إنـــي كَلِفْـــتُ ســـلام بعـــدكم   بالغـــارة الشـــعراءِ والحـــرب
لـــو كـــنت يـــوم القادســـية   إذ نازلـــتهم بمهـــند عضـّـــب
أبصـــرت شـــداتي ومنصـــرفي   وإقامتـــي للطعـــن والضـــرب

لاشك أنه من أعذب الشعر ويدل علي حس مرهف وعواطف صادقة مع إحساس ببطولته التي لا يختلف عليها اثنان.

قال جابر[2] بن عبد الله صحابي رسول الله ﷺ: "والذي لا إله إلا هو، ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتهمنا ثلاثة

([1]) السهب: الفلاة – لكف الوجه تعبرت رشرته بدون كدر .
([2]) الإصابة 4290 .

نفــر فمــا رأيــنا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم، طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب وقيس بن الكشوح".

وقــال ســعد بن أبي وقاص في أصحاب القادسية: "والله إن الجيش لذو أمانة، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت وأيم الله على فضل أهل بدر. لقد تتبعت مــن أقــوام هــنات، وهنات فيما أحرزوا ما أحسبها ولا أسمعها من هؤلاء القوم[1] .

سقوط المدائن

بعد معركة القادسية جاءت أوامر عمر إلي سعد بالتحرك نحو المدائن فانسحبت قوة فارسية كانت تعسكر بجهة الكوفة من أمام تقدم المسلمين دون قتال. واستمر المسلمون في تحركهم فكانت مناوشة بسيطة في برس ثم معركة غير ضاربة في بابل ثم اشتباك صغير في سورا ومبارزة في كوثى ولقاء مع قوة من الحرس الملكي في ساباط وبعدها بلغوا بهر سير إحدى المدائن السبع فاعتصمت بأسوارها وصمدت بعض الوقت وكان سعد يقذفها بالمجانيق والعرادات لكنها لم تلبث أن سقطت في أيدي المسلمين ولم يعد أمامهم لدخول إيوان كسرى على الضفة المقابلة من النهر سوى أن يعبروه. ولكن المجوس كانوا قد جمعوا السفن إلى جانبهم وخربوا الجسر. ولجأ سعد إلى عبور نهر دجلة عوماً على ظهور الخيل وقد علا فيضانه وتلاطمت أمواجه، فشكل رأس حربة قوامه ستمائة متطوع يقودهم عاصم بن عمرو التميمي عرفوا بكتيبة الأهوال نزلت بخيولها إلى مياه النهر فعبرته، ولما اقتربت من شاطئه الآخر حاول حرس الشاطئ من المجوس منعهم بالنزول إليهم ولكن عاصما هزمهم في هذه المعركة النهرية وولى المجوس الأدبار والمسلمون ينخسون خيلهم من خلفهم برماحهم حتى طلعوا إلى شاطئه المقابل ففر المجوس بعد اشتباك لم يثبتوا فيه وفر يزدجرد ملك فارس من إيوانه إلى

---

(1) الطبري .

حلوان وعبر سائر الجيش دجلة، ودخل سعد بن أبي وقاص والمسلمون معه الإيوان وهو يردد الآية الكريمة:﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الدخان: 25-28] .

وغـنم المسـلمون من المدائن غنائم عظيمة قسمت بينهم إلا الخمس فقد أرسـل إلى المدينة وكان شيئاً عظيماً لم يغنم المسلمون من قبل مثله. وكان للمسـلمين طرائف مع هذه الغنائم. قال حبيب بن صهبان[1]: "دخلنا المدائن فأتينـا علـى قباب تركية مملوءة سلالاً مختمة بالرصاص فما حسبناها إلا طعاما فإذا هي آنية الذهب والفضة، فقسمت بعد بين الناس. وقد رأيت الرجل يطوف ويقول: من معه بيضاء بصفراء (يعنى فضه بذهب، أو يفك العملات الكبيرة بعملات صغيرة). وأتينا على كافور كثير فما حسبناه إلا ملحا فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز. وكان المسلمون يلقون الكافور يومئذ في قدورهم يحسبونه ملحا.

معركة جلولاء

وكان الفرس منذ هزيمة القادسية، يحشدون قوات جديدة من شتى نواحي مملكـتهم، وأردوا أن يقفوا وقفة أخرى في جلولاء فوجهوا تلك الحشود إليها بالإضافة إلى القوات المنهزمة المنسحبة من المدائن. فبعث إليهم سعد بن أبي وقـاص اثنـي عشر ألفا عليهم هاشم بن أبي وقاص وقد ذكر البلاذرى في روايـة أن طليحة بن خويلد كان على مشاة المسلمين في جلولاء ونرى أنها روايـة مـرجوحة حيث إن من المعلوم أن أصحاب الردة لم يكونوا يتولون قـيادات فضلا عن أن جيش المسلمين قد صار كله منذ القادسية من الفرسان لا مشاة فيه. وأقام المجوس من استحكامات كثيفة من الخنادق وحسك الحديد وخوازيق الخشب حول مواقعهم، وكانوا يشتبكون بالمسلمين اشتباكات متعددة

(1) الطبري عن الأعمش عن حبيب بن صهبان .

بلغـت الثمانين عدداً ثم يعودون إلي استحكاماتهم حتى طلب هاشم المدد من سـعد واسـتمر حصار المسلمين لجلولاء سبعة أشهر أو يزيد. وأخيرا وقع اشـتباك عنـيف اسـتمر إلى الليل، فكان رميا بالنبال، ومطاعنة بالرماح، ومجالـدة بالسـيوف، حتـى انهزم المجوس، وأرادوا التراجع إلى مواقعهم كعـادتهم ولكـن المسلمين لم يرفهوا عنهم حتى ألجئوهم إلى خندقهم، ورأى القعقـاع بن عمرو أن يقتحمه عليهم ففعل، ووصل مدد يبلغ ثلاثة آلاف من الفرسـان، فيهم طليحة بن خويلد، وقيس بن مكشوح وعمرو بن معدي كرب وحجر بن عدي، فصار المسلمون بجولاء خمسة عشر ألفا وكان بنو أسد من جـند جلولاء. واشتد القتال في معركة ليلية لم يشهدوا مثلها منذ ليلة الهرير بالقادسـية، وبلغ قتلى المجوس مائة ألف، جللت المجال وبذلك عرف المكان بجـولاء. وتم فتح جلولاء والهزيمة الكبرى الثانية للجيش المجوسي في أول ذي القعدة (16هـ 24 نوفمبر 637م)[1] بعد فتح المدائن بتسعة أشهر وسار المسـلمون من جلولاء إلى خانقين فاستولوا عليها، ثم جاوزوا قصر شيرين، ومـرة أخرى فر يزدجرد أمام المسلمين فخرج من حلوان إلى الري، ودخل المسـلمون حلوان. وغنم المسلمون من جلولاء مغانم جسيمة قومت بثلاثين مليون[2] درهم .

وفـي المديـنة وضعت أنفال جلولاء في صحن مسجد الرسول ﷺ فلمع تحـت ضوء الشمس بذهبه وزبرجده، ونظر إليه عمر فرأى أكثر مما رأى مـن كانوا ينظرون إليه فبكى. قال عبد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا لموطن شكر! .

قال عمر: والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى باسهم بينهم. ثم قال: لوددت أن بين السواد

([1]) فتوح الشرق بعد القادسية.
الطبري عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت.
([2]) الطبري عن المجالد وعمرو عن الشعبي.

وبين الجبل سدا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم. حسبنا من الريف السواد، إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال.

فتوح أخرى

فـي ذات الـوقت كانـت قوات أخرى للمسلمين تفتح تكريت والموصل ونينوى على نهر دجلة، وقوات ثالثة تفتح هيث وقرقيسياء على نهر الفرات، وقـوات رابعة تعمل بجهة الأبلة وشط العرب والأهواز. وبعد فتح جلولاء، بعـث سعد ضرار بن الخطاب ففتح ماسبذان، وكانت معه عناصر من بني أسد غير أننا لا نصادف ذكرا لطليحة فيه.

الكوفة قاعدة

بعد ذلك أقام المسلمون مدينة الكوفة في عام (17هـ) وجعلوها قاعدتهم الحربية، واكتفوا بإقامة حاميات في المناطق المفتوحة، وسكنت كل قبيلة من قـبائل العـرب حيا من أحياء الكوفة، فكان لبني أسد حي، ونزله طليحة مع قبيلته. وكانت بنو أسد جزءا من سكانها، حتى إنها استوعبت معظم بني أسد. وبعد ذلك، ومع التاريخ، تحول بنو أسد بالكوفة من مقاتلين محاربين إلى أهل علم وبحث ومعرفة. وفي عام (17هـ) أيضا تم فتح الجزيرة.

الباب الثالث

معركة نهاوند

(1) عزل سعد بن أبي وقاص
(2) معركة فتح الفتوح.
(3) طليحة كشاف نهاوند.
(4) وجوه في الجيش.
(5) يوم التقى الجمعان.
(6) طليحة يضع الخطة.
(7) مؤتمر حربي.
(8) القعقاع يقود الاشتباكات.
(9) الالتحام الحاسم.
(10) طليحة الإنسان.
(11) قائد بغير رتبة.
(12) سقوط همذان.
(13) قيمة معركة نهاوند.
(14) طليحة الشهيد.
(15) طليحة الشاعر – المقاتل.
(16) طليحة اجتماعيا.

عزل سعد بن أبي وقاص

تم فتح الأهواز بعد مقاومة عنيفة، وكان الذي يتولى الدفاع عن الأهواز هرمـــزان الذي كان يقود ميمنة رستم في القادسية. وأسر المسلمون هرمزان فـــي معـــركة تستر بعد أن حصروه في قلعتها، فبعثوا به إلى عمر مع وفد، وقـــدم على عمر كتاب من سعد يخبره فيه باحتشاد جموع جديدة للفرس في نهاوند. وفي نفس الوقت ذهب نفر من أهل الكوفة إلى عمر يشكون سعدا أنه لا يقســـم بالسوية، ولا يعدل في القضية، ولا يغزو في السرية، و لا يحسن الصلاة. والظاهر أنه كان لبني أسد في هذه الشكوى نصيب موفور.

وكـــان محمد بن مسلمة هو الذي يستعمله عمر دائما في التحقيق مع الـــولاة، الـــذين تصل إلى عمر شكايات في حقهم فيما ينسب إليهم، وقد كان صـــارما فـــي الحـــق، فبعثه عمر للتحقيق في الأمر. وبلغ محمد بن مسلمة الكوفة، والمسلمون يستعدون للخروج إلى نهاوند، فهم في اجتماعات وحركة، تموج بهم الكوفة.

وأخـــذ محمـــد بـــن مسلمة بيد سعد يطوف به على مساجد الكوفة يسأل المسلمين عنه علناً، وعلى ملأ من كل الناس، فكان لا يقف به في مسجد من مساجد الكوفة يسأل الناس عنه إلا قالوا خيراً. إلا من مالأ الجراح بن سنان الأسدي وأصحابه الذين شكوا سعداً فإنهم كانوا يتركون الثناء ويسكتون.

ومـــن الواضـــح أن هذه الفتنة التي أشعلها نفر من بني أسد كان طليحة بعيداً عنها ولم يلغ بلسانه فيها، ولم يرد له أي ذكر بشأنها.

وبالـــرغم مـــن وضوح القضية فقد أخذ محمد بن مسلمة سعداً إلى عمر بالمديـــنة واســـتخلف سعد على الكوفة عبد الله بن عبد الله ابن عتبان، فأقره عمر واستبقى سعدا معه بالمدينة.

معركة فتح الفتوح[1] .

كانـــت نهاوند مدينة حصينة، تقوم علي جبل يرتفع كثيراً عما أمامه من أرض، ويطل على الوادي الذي أمامه. كما كان بها حصن بأعلى الجبل، وقد اجتمعت بها حشود من خراسان شرقاً إلي حلون غربا ومن الباب وحلوان أو سجستان ومن أهل الجبال ومن شتى أرجاء إمبراطورية الفرس، وذكر سعد لعمر أن أهل الكوفة يستأذنونه في الزحف إلى نهاوند كما كتب ابن عتبان من الكـــوفة إلى عمر: "إنه قد تجمع منهم خمسون ومائة ألف مقاتل، فإن جاءونا قـــبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة. وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلك عليهم".

إنه جمع أكبر مما اجتمع للمجوس في القادسية، حتى أراد عمر أن يسير إليهم بنفسه لولا أن رده عن ذلك أصحابه، فاختار النعمان ابن مقرن المزني ليقود هذه المعركة التي على الأبواب، وجعل رديفه حذيفة بن اليمان، ثم نعيم بـــن مقرن المزني، وكان جيش المسلمين الذي وجهه عمر إلى نهاوند مكونا من ثلثي جند قاعدة الكوفة، وثلثي جند قاعدة البصرة. واستحث عمر هؤلاء وهؤلاء على الخروج لقتال عدوهم. فسار جيش البصرة من الأهواز شمالا، وســـار جيش الكوفة فسلك طريق المدائن وحلوان، والتقى الجيشان في مكان اسمه الطزر علي مسافة 130 كيلومترا من نهاوند. وجعل النعمان على كل الطـــرق والمسالك التي تؤدي إلي ربوع سلطان المجوس فرساناً يغلقون تلك المـــداخل حتـــى لا يفاجأوا من خلفهم، كما قطعت تلك القوات طريق إمداد نهاونـــد تجاه فارس والجنوب، هذا في حين كلف عمر الثلث الباقي من جند البصرة أن يشغلوا الفرس بجهتهم حتى يمنعوهم من معاونة جيشهم المحتشد في نهاوند.

---

(1) التفاصيل الكاملة لمعركة فتح الفتوح بنهاوند وخرائطها ومناقشتها في "فتوح الشرق بعد القادسية"

طليحة كشاف نهاوند:

وجـــاء إلـــى النعمان بن مقرن وهو بالطزر خطاب من عمر يحمله إليه قريب بن ظفر جاء فيه: "إن معك حد العرب ورجالهم في الجاهلية، فأدخلهم دون مـــا هـــو دونهم في العلم بالحرب واستعن بهم واشرئب برأيهم. وسل طليحة وعمراً وعمراً ولا تولهم شيئا، فإن كل صانع أعلم بصناعته"[1].

كان النعمان في مسيرته تلك قد أمن أجنابه ومؤخرته، ولم يبق له إلا ما هـــو أمامـــه مـــن طريق مجهول نحو نهاوند لا يدري ما أعد له فيه، فبعث النعمان الثلاثة الذين ذكرهم عمر في خطابه طليعة ليأتوه بالخبر، طليحة بن خـــويلد الأســـدي، وعمـــرو بن أبي سَلْمَى العنزى، وعمرو بن معدي كرب الـــزبيدي، وأمـــرهم ألا يوغلوا. وخرجت هذه الطليعة من معسكر المسلمين بالطرز، فلما ساروا يوما إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى إلى المعسكر. قالوا له: ما رجعك؟ قال: كنت في أرض العجم، وقتلت أرض جاهلها، وقتل أرضاً عالمها" .

وســـار طلـــيحة وعمـــرو بن معدي كرب حتى إذا كان آخر الليل رجع عمـــرو إلي المعسكر. قالوا: ما رجعك؟ قال: سرنا يوما وليلة ولم نر شيئاً، وخفت أن يؤخذ علينا الطريق.

أمـــا صـــاحبنا طليحة فكان كما عهدناه في طلائع ودوريات القادسية. لم يحفـــل بـــرجوع صاحبيه، ومضى وحده في أرض عدوه التي يجهل كل ما فيها. مضى حتى انقطعت أخباره، وذهبت ظنون المسلمين به كل مذهب حتى ظـــن بعضهم أنه ارتد مرة أخرى، ولحق بالمجوس! ولكن طليحة كان يسير بفرســـه حتـــى بلغ نهاوند علي مسافة 130 كيلومترا، فاطلع على ما أراد، وعلم من علم القوم ثم رجع. فلما أقبل على المعسكر ورآه المسلمون كبروا .

فسأل طليحة: ما شأن الناس؟

([1]) الاستيعاب في معرفة الأصحاب 229/2 ، أسد الغابة 26/5 .

فأجابوه بما ظنوه به، فرفض ظنونهم وأنكرها عليهم، وأخبر النعمان أنه ليس بينه وبين نهاوند أحد من المجوس ولا شيء يكرهه.

وجوه في الجيش:

ونادى النعمان في جيشه بالسير، وأمر جنده بالتعبئة، وجعل مجاشع بن مســـعود السلمي في قوته مؤخرة لهم، تتحرك وراءهم من خلفهم. كان نعيم ابــن مقــرن المزني -أخو النعمان- على المقدمة، وحذيفة بن اليمان على الميمــنة، وســويد بن مقرن على الميسرة، والقعقاع بن عمرو على الفرسان المجــردة. وكـــان في هذا الجيش وجوه أهل الكوفة[1] والبصرة وإمداد أهل المديــنة مــثل عــبد الله بن عمر بن الخطاب، وجرير بن عبد الله البجلي، وجرير أبن عبد الله الحميري، وأخوة النعمان بن مقرن سويد، ومعقل، ونعيم، والقعقــاع بن عمرو، ومجاشع بن مسعود وبشير بن الخصاصية السدوسى، وحــنظلة بــن الربيع، وابن الهوبر، وربعي ابن عامر، والمغيرة بن شعبة، وقــيس بــن مكشوح المرادى، وعمرو ابن معدي كرب الزبيدى، وصاحبنا طليحة بن خويلد الأسدي.

يوم التقي الجمعان

لقــد كـــان قائد المجوس في القادسية هو رستم رجلهم الأول في الحرب والسياسة، وكان ينافسه في السلطه والشرف فيرزان والآن جاء دور فيرزان لـــيقود المجوس في نهاوند. وكان على ميمنته زردق، وعلى ميسرته بهمن، وعلـــى فرسانهم أنو شق. وقد جمعوا في حشدهم ذاك من غاب عن القادسية ومـــا بعدها، حتى زاد عددهم علي تعداد جيشهم بالقادسية. لقد كانت القادسية علـــي أبواب دولتهم، أما نهاوند فهي في قلب الدولة، وقد سقطت العاصمة. وهـــذا الغــزو يــتوغل في إمبراطوريتهم، ولا يقارن به إلا فتوح الإسكندر الأكبر، وذلك فهم الآن مائة وخمسون ألفا يقودهم فيرزان.

([1]) الطبري 115/4، عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق .

وجـاء الـنعمان فـي جيشـه فما أن وقع بصره عليهم حتى كبر فكبر المسـلمون معـه. وتزلزلت لتكبيرهم قلوب المجوس. فلقد كان للمسلمين في معـاركهم السـابقة تكبيـرات أمامهم اقترنت بهزيمتهم في كل معركة. في القادسـية كـان تكبير، وفي المدائن كان تكبير، وفي تستر...ثم أمر النعمان بحـط الأثقال وضرب الفسطاط، فتسابق أشراف أهل الكوفة في بنائه تعبيرا عن حبهم الكبير لقائدهم فأقاموه، والنعمان واقف لم يجلس بعد، وكانوا أربعة عشر من رءوس المسلمين. وما أن حطت الأثقال حتى أنشب النعمان القتال. إنهـا ظاهـرة تستلفت النظر أن يجئ جيش كبير من سفر يمتد مائة وثلاثين كيلومتـرا في جبال وعرة، فما أن يضع أثقاله حتى يكون جاهزا لقتال ضد عـدو متحصـن مقيم في دياره. ولكن المقاتل المسلم كان طرازا فريدا على مدى التاريخ. واقتتلوا يومهم واليوم الذي يليه -الأربعاء والخميس- والحرب بيـنهما سجال. ثم اعتصم المجوس بخنادقهم، فلم يخرجوا منها يوم الجمعة. يصف ابن جبير قتالهم بقوله: "فلم أر والله مثل ذلك اليوم. إنهم ليجيئون كأنهم جـبال حديـد قد تواثقوا ألا يفروا من العرب، وقد قرن بعضهم بعضا (كل سـبعة في قران)، وألقوا حسك الحديد خلفهم وقالوا: من فر منا عقره حسك الحديد" .

رابـط المسـلمون أمام نهاوند فكان المجوس يزاحفونهم ثم يعودون إلى مواقعهم وحصونهم. قال بعض من شهدها[1]:

"بيـنما نحـن محاصرو أهل نهاوند، خرجوا علينا ذات يوم فقاتلونا، فلم نلبثهم أن هزمهم الله. فتبع سماك بن عبيد العبسي رجلاً منهم معه نفر ثمانية على أفراس لهم. فبارزهم فلم يبرز له أحد إلا قتله، حتى أتى عليهم. ثم حمل على الذي كانوا معه فأسره وأخذ سلاحه ودعا له رجلا اسمه عبد فوكله به. فقـال اذهـبوا بي إلى أميركم حتى أصالحه على هذه الأرض، وأؤدي إليه

---

(1) الطبري 135/4، عن أبي معبد العبسي وعروة بن الوليد عمن حدثهم من قومهم، وفتوح البلدان 768، عن الرفاعي عن الصفدي عن أبي معشر عن محمد بن كعب .

الجزية، وسلني أنت عن إسارك ما شئت، وقد مننت علي إذ لم تقتلني، وإنما أنا عبدك الآن. وإن أدخلتني على الملك وأصلحت ما بيني وبينه، وجدت لي شكرا، وكنت لي أخا .

فخلـــى سبيله وآمنه وسأله عن نفسه، فأجابه بأن اسمه دينار، وكان ملك ذلــك الإقلــيم فـــي بيت دينار هذا. فأتى به حذيفة بن اليمان فصالحه على الخراج. وكان دينار بعد ذلك يصل سماكا ويهدي إليه" .

وكتب النعمان بن مقرن، وحذيفة بن اليمان كتاب صلح لأهل الماهين.

طليحة يضع الخطة:

تقدير موقف

وتوالت الأيام والمسلمون علي مواقفهم، والمجوس في قلعتهم، وقد نثروا حسك الحديد، حول مواقعهم. وبعث النعمان طليعة استكشافية، فغرزت حسكة فـــي حافر فرس، فلزم مكانه ولم يتحرك، واكتشف فارسه الحسكه فأخرجها من حافره وعاد بها إلي النعمان[1] وكان المجوس إذا أردوا مزاحفة المسلمين خـــرجوا إليهم من حصونهم. وإذا لم يشاءوا لم يستطع المسلمون إخراجهم. وأقبل الشتاء، (ديسمبر639 – ويناير 640م). فشق الأمر على المسلمين. إن اختـــيار نهاوند بالذات لهذه المعركة كان اختياراً موفقا من جانب المجوس، فهـــي موقـــع دفاعـــي جبلي يتيح فاعلية كبيرة لأي قوة صغيرة، فكيف وبه تحصينات ودفاعات، وكما يقرر كلاوزفيتز[2]: أن القوة الصغيرة تستطيع أن تســـمح لنفسها في الجبل، أن تتصدى لجيش كامل بصورة فعالة من الناحية التكتيكـــية، بحيث يكون الجيش المهاجم مطالباً بالقيام بكل إجراءات الحرب. فكـــيف وجـــيش الـــنعمان ثلاثون ألفاً يريد أن يهاجم مائة وخمسين ألفا في ظروف وأوضاع كالتي ذكرنا!.

مؤتمر حربي

([1]) الطبري 115/4، عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق .

([2]) ج الحرب 201 .

وفـــي صـــباح يوم جمعة، اجتمع بعض أهل الرأي في معسكر النعمان يقلـــبون الأمـــر ويـــتحدثون فيه، وجمع النعمان مجلس حربه وطرح عليهم المشكلة.

قـــال: "قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن وأنهم لا يخرجون إلا إذا شاءوا، ولا يقدر المسلمون علي انغاضهم وانبعاثهم قبل مشيئتهم. وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فيه وعليه مـــن الخيار عليهم في الخروج. فما الرأي الذي به نحمشهم ونستخرجهم إلى المنابذة وترك التطويل؟".

كان عمرو بن ثبي أكبر المجتمعين سناً فبدأ الحديث، وكانت تلك عادتهم. فاقتـــرح أن يتحصـــن المســـلمون أمامهم ويطاولونهم كما يطاول المجوس المسلمين، فإذا خرجوا قاتلهم المسلمون. وكان رأيا لم يقبله المجتمعون.

ثم تكلم عمرو بن معدي كرب الزبيدى. فكان من رأيه شن الهجوم عليهم فـــي خنادقهم وحصونهم. واعترضوا جميعا على رأيه، قالوا: "إنما تناطح بنا الجدران، والجدران لهم أعوان علينا". نعم. إن الهجوم علي تحصينات نهاوند المـــرتفعة مـــن الوادي المنخفض الصاعد إليها يجعلها معركة غير متكافئة، وهـــي مـــن الناحـــية التكتيكـــية هجومية بالنسبة للمسلمين، دفاعية بالنسبة للمجوس، وللمعركة الدفاعية ميزاتها فإن المحافظة علي شيء مكتسب، أسهل من اكتساب شيء مفقود، والدفاع أسهل من الهجوم إذا تساوت الوسائل.

المكوث والمطاولة رأي مرفوض.

والهجوم والمناطحة رأي مرفوض.

فماذا إذاً ؟

كـــان ثالـــث المتحدثين هو صاحبنا طليحة بن خويلد، فقال: "قد قالا ولم يصيبا ما أرادا. وأما أنا، فأرى أن نبعث خيلا مؤدية فيحدقوا بهم، ثم يرموهم لينشـــبوا القـــتال ويحمشوهم. فإذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا (لجـــئوا) إليـــنا اســـتطرادا (مبارزة على الخيل بالكر والفر)، فإنا لم

نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم. وإذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منا، طمعوا في هـزيمتنا ولم يشكوا فيها، فخرجوا فجادونا وجاددناهم،حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب".

فكرة جديدة حقا تلك التي ابتكرها طليحة[1].

1- أن تتقدم فرقة من الفرسان للتحرش بالمجوس وتغريهم على الالتحام في مبارزة بالكر والفر .

2- تتظاهر الفرقة المشتبكة بالانكسار وتتراجع أمام ضغط المجوس.

3- يتـراجع أيضا صلب جيش المسلمين تضليلا للمجوس، وفي تراجعه ذاك يتخذ مواقع ترصديه[2].

4- تصـل الفـرقة المشـتبكة في تراجعها وهي تسحب وراءها جيش المجوس إلى مواقع يستطيع جيش المسلمين أن يطبق عليه فيها، ويبيدوه بعيدا عن تحصيناته.

الخطة جيدة، والمهم فيها براعة التنفيذ من فريق الاشتباك.

القعقاع يقود الاشتباك

وافق المجتمعون على أري طليحة، وأسند النعمان قيادة فرسان الالتحام إلى القعقاع بن عمرو التميمي، وكان الهدف المحدد له أن يستدرج المجوس إلى كمين أعد لهم، وقاموا من فورهم للتنفيذ .

تحرش القعقاع وفرقته بالعجم، فاقتربوا من خنادقهم، وتحدوهم ورموهم بالنبال، وتحاجز العجم فلم يخرجوا لقتال القعقاع أول الأمر، ولكنهم لم يلبثوا أن خضـعوا للإغـراء فـإنهم يرون أمامهم قلة من فرسان المسلمين. فلما خـرجوا واقتتلوا، راح القعقاع يتراجع ويتظاهر بمحاولة الثبات، ثم يتراجع وهكـذا، أجاد تمثيل الهزيمة، في حين كان النعمان يرجع بقواته إلى الخلف، ثـم ضـرب عسكره وعبأ كتائبه، هذا في حين ظن المجوس أن فرصتهم قد

---

(1) فتوح الشرق بعد القادسية 203 .

(2) الطبري 115/4، عن أبي حميد عن سلمة عن ابن إسحاق .

سنحت. إن المسلمين ينهزمون، ولم يكونوا قد انهزموا منذ معركة الجسر[1]. فكانوا كما قدر طليحة، ظلوا يخرجون قواتهم، ويلقون بها ضد القعقاع حتى لم يبق في حصونهم إلا من يقف على أبوابها وكنسوا حسك الحديد.

القعقاع يتراجع في استماتة مصطنعة حتى انقطع المجوس بعض الشيء عن حصنهم، وكانوا قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفرون.

الالتحام الحاسم

تم هذا قبل الظهر. أمر النعمان جيشه أن يلزموا أماكنهم، ورماهم المجوس بالنبل، والمسلمون يتترسون بالتروس. كان النعمان في ذلك ينتظر صلاة الظهر، فلما وجبت وصلوها، خطبهم[2] النعمان فبشرهم بالنصر، وذكرهم الذي عليهم، ثم قال: "اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذل يذل به الكفار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك. أمّنوا يرحمكم الله"[3] فأمن المسلمون، وبكوا على قدر ما كانوا يحبون النعمان.

ورجع النعمان إلى موقفه وكبر ثلاثا ثم انقض انقضاض النسر نحو المجوس، وهو على فرس قصير القوائم، مميزاً برداء أبيض وقلنسوة بيضاء وهجم المسلمون جميعا. يحكي جبير ما شاهد في ذلك اليوم فيقول: "فوالله ما علمت من المسلمين أحدا يومئذ يريد أن يرجع إلي أهله حتى يقتل أو يظفر، فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا، فما كنا نسمع إلا وقع الحديد، حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة. فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرحهم انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قياد فيقتلون جميعا، وجعلوا يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوه خلفهم".

---

(1) في شرح معركة الجسر انظر الطريق إلى المدائن .

(2) الطبري 115/4 عن أبي حميد عن سلمة عن ابن إسحاق .

(3) الطبري 119/4 عن الربيع بن سليمان عن أسد بن موسى عن المبارك بن فضالة عن زياد بن جبير عن أبيه .

واشـــتد القـــتال مـــن ظهيرة ذلك اليوم حتى هبوط الظلام وغطت جثث المجـــوس ودماؤهم ميدان المعركة، وكان المتقاتلون ودوابهم تزلق من كثرة الـــدماء علي الأرض وزلق فرس النعمان فلقى مصرعه، وفي رواية أخرى أنه أصيب بنشابة في خاصرته فتولي القيادة من بعده حذيفة بن اليمان وأظلم اللـــيل وأراد المجـــوس أن يتـــراجعوا فسقطوا في خندق عميق من خنادق تحصـــيناتهم حتـــى قدر الرواة عدد من قتل فيه منهم بمائة ألف أو يزيدون ســـوى مـــن قتل في المعركة ثلاثون ألفا بسيوف المسلمين من المقترنين في السلاسل وسوى من قتل في المطاردة بعد المعركة.

طليحة الإنسان

ذكـــرت بعض المصادر أن طليحة قد استشهد بنهاوند، وذكر بعضهم أنه توفـــي عـــام (21هـــ) ولم يذكروا شيئا عن كيفية وفاته، ولسنا نرى في هذا مناقضـــة للخبـــر الأول، فإن هذه الشهادة التي ذكرها بعضهم وسكت عنها غيـــرهم، لـــم ينقضـــها أو ينفها أحد، لاسيما وأن بعض الرواة يذكر معركة نهاونـــد من أحداث عام (21هـــ) والظاهر أنه المختار عند الطبري، وذهب آخـــرون إلى أنها كانت عام (18 أو 19 أو 20هـــ) والذي نذهب إليه[1] أن عملـــيات نهاوند بدأت في أواخر عام (18هـــ) وأن فتحها تم في (16محرم 19هـــ- 15 يناير460م) أو الجمعة (23 محرم 19هـــ - 22 يناير640م). وربمـــا كان مما يزيدنا اطمئنانا إلي صحة خبر استشهاد طليحة في نهاوند، أنـــنا لم نعثر علي أي ذكر له فيما كان بعد نهاوند من فتوح وأحداث. وليس مثل طليحة من يخمد ذكره وهو على ظهر الأرض .

قائد بغير رتبة

لقد كان النعمان بن مقرن ﷺ هو قائد المسلمين في معركة نهاوند، ولكن كمـــا رأينا فإن الخطة التي أحرزت النصر كانت من فكر طليحة ﷺ، قدمها

([1]) فتوح الشرق بعد القادسية 219 .

بعــد أن رفض المؤتمر الحربي الذي عقد صبيحة يومها رأيين عرضا قبله لعدم صلاحيتهما.

ولقــد كانــت هــذه الخطة التي تفتق عنها ذهن طليحة درساً كبيرا في الـتاريخ الحربــي، نسج على منواله قادة جاءوا من بعد. لقد كانت هذه هي الخطــة التقلــيدية المفضلة لدى جانكيز خان قائد التتار المغول في عمليات اكتساح آسيا من شرقيها إلى غربيها.

كــان يقوم بهجوم كبير علي عدوه يقصد به هز صفوفه وزلزلة أقدامه، فــإذا لم يتحقق له هذا الهدف تراجع منهزماً إلى كمين أعده فيستدرج عدوه إلــى حيث يطبق عليه في حركة مفاجئة تحدث الأثر المطلوب. وأيضا هذه هي نفس الخطة التي اتبعها قاهر التتار قطز في عين جالوت فأوقع بهم لأول مــرة الهزيمة مستخدما أسلوبهم الذي لم يتصوروا أن يفعله غيرهم بهم. هذه الخطة هي خطة طليحة!

إن هــذه الخطة التي أوقعت بالمجوس في نهاوند تعرف في علم الحرب بالكمــين والكمــين مناورة هجومية دفاعية، لا تحدث إلا عندما يغري أحد الطــرفين عــدوه، على أن يتحرك إلى موضع يمكن محاصرته فيه، قبل أن يدرك أن خصمه قد صار على مقربة منه، وهذا هو الكمين المثالي.

سقوط همذان

بعــد أن انــتهت المعركة عاد نعيم بن مسعود، يقود المقدمة وينطلق في مطــاردة بعــيدة للفلول الهاربة نحو همذان، وخرج معه القعقاع بن عمرو فــأدرك القعقــاع فيرزان وقد سدت الطريق أمامه قافلة من البغال والحمير محملــة بحمــولة من العسل. وترك فيرزان جواده وانطلق يعدو علي قدميه صــاعدا فــي الجبل، فترك القعقاع جواده أيضا وانطلق يتعقبه حتى أدركه فقتله. وتندر المسلمون في ذلك فقالوا: إن لله جنودا من عسل!

ورأى حــاكم همذان اندحار جيش نهاوند، وليس عنده من الجند مثل ما كان في نهاوند فاستسلم مقابل الأمان، واستسلم على الأثر الإقليم بأكمله.

قيمة معركة نهاوند

لقـد كـان جـيش المجـوس الـذي اندحـر في نهاوند هو آخر جيش للإمبراطورية الساسانية يواجه المسلمين. ولم يحتشد بعدها للدولة جيش أبدا، وإنما كانت قوات إقليمية محلية تحاول التصدي في إعياء للغزو القوي، الذي اكتسـح أرضـهم وديارهم. لقد كان جيش المجوس في نهاوند أكبر من أي جـيش آخر اجتمع لهم، بما في ذلك المعركة الكبرى بالقادسية، فلما أبيد هذا الجـيش كانـت الجويشات الأخرى أكثر عجزا وانفتحت أرض فارس. هذا الفتح الكبير تم بفكر طليحة بن خويلد الأسدى.

طليحة الشهيد

بعد استعراض سيرة الرجل نستطيع أن نخرج بفكرة عامة عن طليحة بن خويلد الأسدي من جوانبه المتنوعة.

فكره وعقيدته

لقـد كان طليحة شأن كل العرب البدو، ذا فكر بدوي كافر، كان مشركاً وثنياً يعبد الأصنام، وذلك حتى العام التاسع الهجري إذ جاء مع وفد بني أسد إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يعلن إسلامه بصفته من وجوه بني أسد. فهل كانت هذه الوفادة تعني إيمانه بهذا الدين واقتناعه به؟ الذي يدلنا عليه ردته بعد ذلك أنه لم يكن آمن، ولكنه رأى الإسلام ينتشر ويذيع صوته ويعلو شأن أصحابه، فأراد أن يتصدر. إنه نوع من الطموح أو الانتهازية، شأن سلوك الوصوليين فـي كل عصر وزمان وفي أي مكان. هذا محمد ﷺ أقام حكومته في المدينة وبسـط نفوذه وسلطانه على شبه الجزيرة، واستعمل عماله على أرجائها ما أمكن من أبناء تلك القبائل السابقين إلى دينه. وإذاً فطريق الوصول أن يسابق إلـى هـذا الدين وليس بوسع البشر أن يطلعوا على خبايا النفوس وما تكن الصـدور! ولكـن هذا الأسود العنسي باليمن قد استطاع أن ينشق عن تلك الدولـة، وأن يشق عصا الطاعة فتكون له حكومته ودولته بل ونبوته. ليس الأسـود فقط، فهذا أيضا مسيلمة بن حبيب باليمامة يفعل نفس الشيء يزعم

أيضـــاً أنه نبي. يقول المسلمون عنه (مسيلمة الكذب)، وماذا في ذلك؟ كذابٌ كـذاب المهـم أنه حاكم مستقل يحظى بطاعة قومه تدرع بينهم بالنبوة. فهل يكون طليحة أقل في قومه من الأسود في اليمن أو مسيلمة في اليمامة؟ سوف يقولـون عنه: طليحة الكذاب فليكن. ولكنه النبي الصادق عند بني أسد ومن في حلفهم، وسوف يجذبهم إلى دينه ببعض السجع يحاكي به القرآن وبإسقاط بعض الفرائض التي فرضها عليهم الإسلام!

ولكن طليحة يفيق على شر هزيمة، لم تصبه وحده وإنما أصابت كل ردة بين العرب. وعاد يقلب الأمر. لماذا من بين هذه النبوات جميعاً لم تصمد إلا نبوة محمد ﷺ حتى بالرغم من موته فقد انطفأت كل نبوة عداها؟ الرجل يعلم عـن نفســه يقينا أنه لم يكن نبياً، وأنه لم يتنزل عليه أي وحي، فلابد إذاً أن مسيلمة وأن الأسود كانا كذلك وأن محمدا وحده كان هو رسول الله الصادق الأمين. فأعلنها في صراحة وهو يفر أمام خالد "قاتلوا عن أحسابكم فأما دين فلا دين".

وحـيث إن الله حق ومحمداً حق والقرآن حق، فمن الحق أن يعود مسلماً لا كإسـلامه أول مـرة، ولكن إسلاماً بحق. حتى لقد شهد له الرواة أنه كان زاهدا أمينا.

طليحة الشاعر

لـيس بـين أيدينا كثير من شعر طليحة، ولكنها أبيات قليلة أو أقل من القلـيل. غيـر أنها على قلتها نجدها من أعذب الشعر وأجوده بما يدلنا على حاسة شعرية وإحساس صادق مرهف لدى الرجل، ولابد وأن يكون قد أنتج من الشعر أكثر بكثير مما وصلنا، فليس الشعر الجيد بالذي يأتي صدفة، ولا سيما وقد كانت الفتوح التي ساهم فيها طليحة مادة صالحة وخصبة للتسجيل الشـعري شـأن غيره من أبطال الفتوح الذين سجلوا بطولاتهم وما أكثرهم. علـى كل حال يمكننا القول بأن ما وصلنا من شعر طليحة نموذج صالح لما

غـــاب مـــنه. وكما كان لطليحة شعره، كذلك كان خطيب قومه في القادسية اعتمد عليه سعد في إثارة حماس بني أسد.

طليحة المقاتل

لاشك أنه قد وضح لنا أن طليحة كان على أعلى مستويات الكفاية القتالية والتدريب العالي. لقد سكنت بنو أسد نجدا، ونجد كانت موطن الخيل العربية الأصيلة، فكانت تكثر بها وتقل في سواها، ولعلنا قد لاحظنا أيضا أن بني أسد قبـــيلة طلـــيحة كانت قبيلة حربية لها معاركها في الجاهلية وفي الردة وفي الفتوح، لم تكن كل معاركها الجاهلية انتصارات ولكنها لم تستسلم، وما ظهر مـــن إجـــادة بني أسد الحرب والقتال في الفتوح لابد أن كانت له جذوره من قـــبل. تلك كانت من الظروف العامة التي تتيح لمثل طليحة فرصة أن يكون فارســـاً، ومع ذلك فلم يكن كل سكان نجد كطليحة، فهو قطعا كانت له فرص أخرى، وهو بكل تأكيد كان على أعلى درجات اللياقة البدنية كما كان حاضر الـــبديهة، هـــذه الـــبديهة التي تلزم المقاتل لتسعفه بما يتصرف به في الوقت المناسب بما يحفظ عليه الفرص من الضياع، حتى لقد ذكر الرواة[1] عنه أنه كـــان من أشجع العرب وأنه كان يعد بألف فارس، من أجل ذلك كثر اعتماد سعد بن أبي وقاص والنعمان بن مقرن عليه في أعمال الطلائع الاستكشافية وغير الاستكشافية. وما قام به طليحة في معسكر رستم وفي استكشاف نهاوند يغنينا عن أي تعليق.

لم يكن طليحة قائد في الإسلام. لقد قاد بني أسد في غزوة الخندق لغزو المدينة، وقادهم وحلفاءهم في ردتهم وشق عصا الطاعة علي رسول الله ﷺ وخليفته، ولكنه لم يقد في الإسلام، وكان ذلك بسبب السياسة العامة بشأن من سبقت لهم ردة، غير أن خطة طليحة، التي نفذت في نهاوند وصلابة أعصابه فـــي العمليات التي انتدب للقيام بها، تنم عن تمتعه بجوانب هامة من صفات

(1) أسد الغابة 2639 ، سير أعلام النبلاء 230/1 .

القيادة الناجحة، ولقد كان عمر يعلم ذلك، يدلنا عليه كتابه إلى النعمان يأمره باستشـــارة طليحة وألا يوليه قيادة، فلقد كان طليحة ينقصه الجانب الآخر من شروط القيادة الناجحة وهو الماضي الناصع المشرف، ولقد كانت الردة حتى آخر حياة طليحة وبرغم توبته وندمه كانت ماثلة لكل الأذهان حتى أنه حين غـــاب في طلعته الاستكشافية لنهاوند وظن به المسلمون الظنون، لا نجد تلك الظنون -كما ذكرها الرواة- إلا أن يكون طليحة قد عاد مرتدا ولحق بالعجم! ولـــم تكن أن يكون قتل في مغامرته تلك، وربما كان لذلك سبب آخر هو ثقة المســـلمين فـــي طليحة كمقاتل وأنه لم يكن من السهل هزيمته في مبارزة أو اصطياده في كمين، على كل حال إذا أخذنا في اعتبارنا أنه كان لطليحة ماله من المزايا كمقاتل ومفكر حربي مع حرمانه من تولي القيادات، ومع ذلك فقد اســـتمر يجاهد ذلك الجهاد من موقعه في آخر الصفوف ليضيف ذلك لطليحة ميزة أخرى تضاف إلي صفاته كجندي مخلص.

طليحة اجتماعيا

لـــم نقـــف على عمر طليحة في أي مرحلة من مراحل سيرته ولكننا إذا أردنـــا أن نستشـــف ذلك، فإننا نرجح أنه حين قاد بني أسد لغزو المدينة مع القـــبائل في غزوة الأحزاب أن سنه لم تكن لتقل عن الخامسة والثلاثين، كان ذلـــك في العام الرابع أو الخامس من الهجرة. كذلك نرجح أنه حين قاد قومه في الردة وادعى النبوة أنه لم يكن يقل عن الأربعين من عمره، وقد كان ذلك في أواخر العام العاشر من الهجرة. لذلك نعتقد أنه حين استشهد في نهاوند لم يكـــن ليقل عن الثامنة والأربعين من عمره إن لم يكن قد زاد على ذلك إلى الحدود المعقولة. ولعل في فتوته ولياقته البدنية الفائقة -بما أدى إلى الاعتماد علـــيه في العمليات الخطيرة الشاقة- ما يمنعنا من أن نتصور أنه قد تجاوز تلـــك السن بكثير، فهو في تقديرنا أنه يوم استشهد في نهاوند كان بين الثامنة والأربعين إلى الخمسين أو نحو ذلك.

كــذلك لم نجد شيئا يشفي غلتنا عن أسرته وأولاده إن كان له. لقد جرت عادة الكتاب الذين كتبوا كتب الرجال أن يذكروا كنية صاحب الترجمة، فمثلا كان خالد بن الوليد يكنى أبا سليمان، وكان عدي بن حاتم أبا طريف وهكذا، فإذا لم يكن لصاحب الترجمة ذرية قالوا إنه لا عقب له. هذا أو ذاك لا نجده عــن طليحة ولم يذكروه بشيء من هذا القبيل، ولكن ابن كثير ذكر أنه كان لطليحة ابن اسمه خيال، قدم على النبي ﷺ فسأله عن اسم الذي يأتي إلى أبيه فقــال: "ذا النون الذي لا يكذب ولا يخون ولا يكون كما يكون"، فقال النبي: "**لقــد سمى ملكاً عظيم الشأن" ثم قال له: "قتلك الله وحرمك الشهادة**" ورده كمـــا جاء، فقتل خيال في الردة في بعض الوقائع قتله عكاشة بن محصن ثم قتل طليحة عكاشة.

ولقــد ورد خبر واحد يفيد أنه كان له أخ يدعى سلمة[1] ففي المحرم سنة أربع توجهت سرية أبي سلمة إلى جموع بني أسد وعليهم طليحة وسلمة. أما فـــي الـــبحث عن زوجاته، فإننا نلتقط اسمين من ثنايا سطور سيرة طليحة، الأولي النوار وهي التي حملها علي راحلة حين هزمه خالد بن الوليد وانطلق هارباً بها من بزاخة إلى الشام وهو يقول: "من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل، قاتلوا عن أحسابكم أما دين فلا دين"، ورغم ما في هــذه الـــرواية من معرفة الفرار والهروب فلا يخفى ما بها من حب لزوجه وحدب عليها وحرص على ألا يتركها تقع في يد عدوه، حتى لقد كان جواده وثيابه التي عليه والنوار هي كل ما خرج به طليحة من دنياه يومذاك[2].

أفكانـــت الـــنوار هـــي زوجته الوحيدة في ذلك العام الحادي عشر من الهجــرة؟ ربمـــا. فهـــي الوحيدة التي ورد لها ذكر حينذاك، ولكن ليس ذلك

---

(1) أنساب الأشراف 374/1 .

(2) البداية والنهاية 118/7 .

بالقطـــع واليقين فقد جاء في الأخبار[1] أن بني أسد كانوا قد أبعدوا عيالاتهم إلـــى ما بين مثقب وفلج حتى يكونوا بمأمن من مخاطر المعركة. أما الاسم الثاني فهو سليمى التي قال لها بالقادسية:

طـــرقت ســـليمى أرجـــل الـــركب   أنـــي اهـــتديت بسبســـب ســـهب

ويـــبدو من هذه الأبيات أن سليمى لم تكن معه بالقادسية من أول الأمر، وإنما أدركته بها بعد ذلك وإلا لما ساءلها عن كيفية اهتدائها للوصول إليه ولا كـــان أخبرها أنه استعاض عن بعدها بالغارة الشعوراء والحرب. قبل النوار وبعد سليمى لم نقف على أي ذكر لامرأة أخرى في حياة طليحة.

وبعد .

فلقد كان غضب عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد شديداً بسبب قتله مالـــك بن نويرة زعيم ردة بني تميم بعد أن ألقى سلاحه. وقد يتساءل المرء فـــيم كـــان كل ذلك الغضب من أجل رجل قد ارتد؟ ولا شك أن للموضوع جوانبه التي لم نطرقها أو نتعرض لها في كتابنا هذا، ولكن ربما كان طليحة أحد تلك الجوانب. لقد نجا طليحة من سيف خالد يوم بزاخة، ثم كان بعد ذلك ما رأينا بطلا يتدرع به المسلمون في الملمات فيسد في مقام لم يكن يقوم فيه سواه. أليس من الجائز أن مالك بن نويرة كان من صنف طليحة بن خويلد؟ بعبارة أخرى، بعد أن عرفنا عن طليحة ما عارفنا، ألم يكن يعز على القارئ المسلم أن يتصور طليحة قتيلا في بزاخة؟. فلعل عمر أن يكون قد قاس هذه علـــى تلـــك. هذا طليحة بن خويلد الأسدي ﷺ. نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديمه لأبناء جيلنا .

ومـــن حـــيث إننا لسنا صديقين ولا أنبياء فإننا نخطئ ونصيب. ومادمنا نخطـــئ ونصـــيب فـــإن لنا في طليحة نموذجا للاعتبار وقدوة للاهتداء ﷺ وأرضاه،،،

---

(1) الطبري 261/3، س ش عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجدع عن عبد الرحمن بم كعب عمن شهد بزاخة من الأنصار .

مراجع الكتاب

القرآن الكريم	
الاستيعاب	يوسف بن عبد البر القرطبي
أسد الغابة	أبن الأثير
الإصابة	ابن حجر العسقلاني
إمتاع الأسماع	المقريزي
أيام العرب في الجاهلية	محمــد أحمد جاد المولى، على البجاوي، محمد أبو الفضل
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب	محمود شكري الألوسي
تاريخ الأمم والملوك	ابن جرير الطبري
جمهرة أنساب العرب	ابن حزم الأندلسي
خالد بن الوليد	محمد صادق عرجون
خريطة الشرق الأوسط	جون بارثلميو وولده ليمتد، أدنبرج
خريطة العراق الأثرية	مديرة الآثار العراقية – بغداد
خريطة قضاء النجف	مديرية الآثار العراقية – بغداد
الرسول العربي وفن الحرب	مصطفى طلاس
سير أعلام النبلاء	الذهبي
الطريق إلى المدائن	أحمد عادل كمال
فتوح البلدان	البلاذري
فتوح الشرق بعد القادسية	أحمد عادل كمال
في الحرب	كارل فون كلاوزفيتز
القادسية	أحمد عادل كمال
معجم البلدان	ياقوت الحموي
معجم القبائل العربية	عمر رضا كحالة
المعرفة والتاريخ	يعقوب بن سفيان البسوي

الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا	سليمان بن موسى الكلاعي
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير	ابن سيد الناس
أنساب الأشراف	البلاذري
تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام	الذهبي، محمد بن حمد بن عثمان

قائمة الخرائط

فهرس المحتويات

مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

مؤسسة فكرية إسلامية متخصصة أنشئت وسجلت في القاهرة بجمهورية مصر العربية لتعمل على

- إبراز القواعد والمبادئ التي تضمنتها الشريعة الإسلامية وتيسيرها على الباحثين .
- إجراء الدراسات المقارنة بين أحكام الفقه الإسلامي والنظم الوضعية .
- صياغة العقود الشرعية صياغة جديدة يتوفر فيها البعد عن الربا والغرر الفاحش، وتكوين العقود المتفقة والمتوائمة مع حاجات العصر ومتطلباته وسرعة وضخامة تعاملاته .
- الإسهام في تطوير بحوث الاستثمار المصرفي .
- الاهتمام بنشر وطباعة الكتب التراثية الهامة بتحقيقها ودراستها .
- إعداد الأدوات والأعمال البحثية لتدعم جهود علماء الشريعة والاقتصاد، والقانون، وكافة العلوم الإسلامية الأخرى وإعداد الأدلة والكشافات والببلوجرافيات والفهارس والملخصات، وتوفير قاعدة بيانات حديثة ومتجددة في كافة المجالات التي تخدم أهداف الشريعة والاقتصاد والبنوك الإسلامية.

ويستعين المركز لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها :

1- عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية المتخصصة .

2- التعاون مع المراكز البحثية المتخصصة في جميع أنحاء العالم .

3- الاهتمام بإحداث تواصل بين المهتمين بالعلوم الاجتماعية والإنسانية ودارسي العلوم الشرعية باعتبارهم المهتمين بإيقاع النص على الوجود وإحداث الصلة المطلوبة بينهما .

4- تقديم المشورة العلمية للراغبين من دارسي الماجستير والدكتوراه.

5- يوفر المركز مكتبة علمية موزعة على كافة العلوم والمعارف الإنسانية، وكذلك دوريات عربية، ورسائل ماجستير ودكتوراه، وهي متاحة للباحثين

والدارســين من شتى بقاع المعمورة بدون رسوم أو اشتراكات طوال اليوم، والمكتبة يتوفر بها عدد من المصنفات النادرة .

6- يتمتع المركز بعلاقات جيدة مع عدد كبير من العلماء المهتمين بالتأصيل الإسلامي للعلوم في العالم .

والمركــز يأمــل بعون الله تعالى أن تكون له فروع في جميع أنحاء العالم، وليمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما يأمل أن يكون هناك أوجه تعاون مع المراكز البحثية المتخصصة في جميع دول العالم .

عنوان المركز: الإدارة 13 ش مرقص حنا متفرع من ش شاهين العجوزة – القاهرة – جمهورية مصر العربية – تليفاكس 7498853

E-Mail: CLES@internetegypt.com

المؤلف في سطور

- مصري من مواليد القاهرة سنة 1926م .
- بكالوريوس تجارة جامعة فؤاد الأول سنة 1946م .
- البنك الأهل المصري 1946 – 1979 ، مدير عام .
- بنك فيصل الإسلامي المصري حتى أغسطس 1987 ، نائب المحافظ
- المصـــرف الإســـلامي الدولي حتى فبراير 1989م ، عضو مجلس الإدارة والعضو المنتدب .
- وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى 1979م .
- عضو نادي الأهرام للكتاب .

كتب المؤلف

استراتيجية الفتوحات الإسلامية

(1) الطريق إلى المدائن (2) القادسية .
(3) سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية . (4) الطريق إلى دمشق .
(5) الفتح الإسلامي لمصر .

- حجر رشيد والهيروغليفية .
- أطلس تاريخ القاهرة .
- أطلس الفتوحات الإسلامية .
- النقط فوق الحروف .
- التقويم الهجري والميلادي لسنين الفتح .
- الكويت من جزيرة العرب .

سلسة أعلام الصحابة المحاربين

(1) النعمان بن مقرن شهيد نهاوند (2) طليحة بن خويلد .
(3) عدي بت حاتم الطائي (4) محمد بن مسلمة .

سلسلة رسائل محو الأمية الإسلامية

(1) علوم القرآن (2) علم الحديث .